

# سَيِّدِي حَمَر

ذكريات الشيخ محمد أبو طير



تحرير

بلال محمد شالش



## **الفصل السابع**

**اعتقالان بينهما اعتقال إداري**



## اعتقالان بينهما اعتقال إداري

### حال يشرح الصدر:

منذ أن مَنَّ الله علينا بالفرج، والحمد لله، وطوال شهر رمضان، بل وبعد رمضان، والمهنتون يتوافدون من القدس وضواحيها، ومن الضفة مدنها وقراها، ومن قطاع غزة ومخيماته، ومن الداخل المحتل سنة 1948 وبلداته. استقبلت هذه الجموع حتى وهنت يدي من كثرة المصافحة، وأصابها التهاب. وَحَدَّثَ عن مشاعر الناس الفياضة، وعن الروح الوطنية الصادقة، وعن عودة الناس للدين بعد هذه الغربة، وعمَّات من المحل والجفاف، الذي أعرفه أو أعهد قبل أن أُسجن. وبعد إحدى عشرة سنة من الغياب، دخلت المسجد الأقصى لأول يوم، وإذا بالجموع في صلاة الصبح تشرح الصدر، واكتظاظ المصلين في صفوفهم لم يكن معهوداً من قبل في المسجد الأقصى، كان الصف الأول قلماً يمتلئ بالمصلين، أما اليوم، فصلاة التروايح يحضرها المصلون من كل فجٍّ، وكذلك سائر الصلوات، والحمد لله.

وأما صلاة الجمعة الأولى، فما إن وطئت قدمي ساحات المسجد الأقصى، حتى رأيتها عامرة بالناس رجالاً ونساءً على حدٍّ سواء. دخلت السجن، ولا أذكر فتاة محجبة إلا أخت الدكتور عكرمة صبري. أما اليوم، فقد شعرت بالنشوة والانتصار لعودة الناس من هذه الغربة، وعمران المسجد الأقصى بالمصلين، بعدما عرفته قديماً بقلة زائريه، واليوم ساحاته عامرة بشباب يفور قوة، ويقبل متحمساً، وخطباء طالما انتظرهم المسجد الأقصى ورواده، وحُقَّ لهم أن يعتلوا منبره؛ كالدكتور محمد صيام (أبو محمود)، رئيس الجامعة الإسلامية الأسبق، والشيخ حامد البيتاوي<sup>1</sup>، الذي كان يلهب مشاعر العباد، وهو يقول من على منبر الأقصى: اسمعوها يا قوات الاحتلال... لا أسمعكم الله الرعد. والشيخ عكرمة صبري، والشيخ محمد فؤاد أبو زيد، هؤلاء الخطباء أتوا على الناس بجديد، وصاروا أحاديث الناس. وكانت الصلاة في الأقصى

<sup>1</sup> حامد سليمان البيتاوي (1944-2012): ولد في قرية بيتا قرب نابلس. درس في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، وحاصل على شهادة الماجستير في الفقه والتشريع من جامعة النجاح. عمل في سلك القضاء الشرعي، وشغل عضوية عدد من المؤسسات الاجتماعية والخيرية، ورئاسة رابطة علماء فلسطين، وخطيب المسجد الأقصى. انتخب في الانتخابات التشريعية سنة 2006 عن مدينة نابلس ضمن كتلة التغيير والإصلاح. توفي في القدس.

يوم الجمعة كأنها عرسٌ في السماء. ولا ترى في الناس إلا العاطفة الصادقة، والنفوس الفوارة التي ينتظرها الكثير، وما كانت تدري أنها مقبلة على مرحلة تفجير إيماني، وانتفاضة من رحمها تخرج حركة لا يمر عليها يومٌ إلا وهي تتعاطم، ألا وهي حركة حماس.

إن الصلاة في المسجد الأقصى هي الثغر الذي يغيظ الأعداء، ولا أظن أنني تخلفت عن الصلاة فيه في ليلٍ أو نهارٍ إلا اضطراراً. وكنت مع الروح الصدامية التي عشناها في السجن، أقف للموعظة على مسامع الناس، وبلون جديد غير معهود. ولدي مخزون من السجن يفيض بالكثير، ومفهوم للتعبئة يختلف عن مواعظ الآخرين. واحتكاكنا بالعدو عن قرب، ومعرفتنا عن الأفكار الهدامة جاءت عن تجربة، وقد دفعنا ضريبتها من أعمارنا وأعصابنا، فكانت مواعظي من لون جديد، وأنفاس تريد للناس أن يتحرروا من هذا الكابوس الجاثم على صدورهم، ومن هذا الاحتلال الغاشم. حتى قال لي الوالد رحمه الله، وهو من الرواد: يا ولدي حديثنا للناس محسوب علينا، وأن نتكلم نحن، أخطر على الصهاينة من الرصاص بيد غيرنا. فطمأنته، وقلت له: لنا الأجر والثواب إن شاء الله.

في العشر الأواخر من رمضان، وبمبادرة وترتيب من الشيخ جميل حمامي، وهو يوم ذاك مدير المسجد الأقصى المبارك، كان الاعتكاف سنةً يحافظ عليها شبانٌ ملتزمون في قاعة كبيرة من باب الرحمة، في الساحة الشرقية من المسجد الأقصى، وبإدارة داخلية يقوم على إمرتها (أبو ياسين) محمد ياسين سماحة، وفي كل يوم موعظة مع الشيخ أبي إسحق الدكتور إبراهيم أبو سالم<sup>2</sup>. وكان الاعتكاف يقوم على المواعظ وقيام الليل، والمأثورات والدعاء والاستغفار، ونشاط تربوي رائع. وأذكر أنه كان لي لقاء مع الإخوة خلال هذا الاعتكاف، أجبتهم فيه عن أسئلة كثيرة، وكان شوق الإخوة لسماع التجربة عظيماً، وقلت: مَنْ اتهمنا بالعمالة ثبت مع الأيام أنه غارق في وحل العمالة.

<sup>2</sup> إبراهيم سعيد أبو سالم (1948-): من قرية السدرة قضاء الرملة، يسكن قرية بيرنبالا شمال القدس. درس الشريعة في الجامعة الأردنية، وعمل واعظاً في وزارة الأوقاف، وأحد أبرز الخطباء والدعاة في الضفة الغربية. حصل على الماجستير في الفقه والتشريع من جامعة الأزهر سنة 1981. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني بدءاً من سنة 1986 لنشاطه القيادي في جماعة الإخوان المسلمين. أبعد إلى مرج الزهور سنة 1992، وناقش خلال ذلك رسالة الدكتوراه في الفقه الإسلامي المقارن. أستاذ الشريعة في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة القدس. انتخب لعضوية المجلس التشريعي عن مدينة القدس سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال.

وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان — وَتَعَوَّدَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ — لتلك السنة، وبعد أن صلينا التروايح مع الإمام الراحل، توجهنا إلى الساحة الشرقية من المسجد، وقد اتخذها الإخوة بإدارة الشيخ جميل موقِعاً ومسجداً لقيام الليل، وإحياء ليلة القدر بالصلاة والدعاء والذكر، بدلاً من الجدل الذي لا طائل منه، فهي ليلة استغراق روعي، وما فيها من بركة يغني عن التهريج الذي يفقدها هيبتها. وما إن استوت الأمور حتى تقدم مني الشيخ جميل (أبو حمزة)، وقال: صلّ في الناس هذه الليلة، فاستأذنته في التطويل مخيراً أو التخفيف؟ فقال: طوّل، وهي الآن سعة لمن استطاع أو يريد. ونويت الصلاة بركعتين قرأت فيهما سورة البقرة، وهذا من فضل الله علينا، فقد منّ الله علي بحفظ كتابه، وتعبد من تعب من الناس وجلس من جلس، كما قيل لي، وكان الحضور من جميع أنحاء فلسطين، وإلى يومنا هذا من الناس من يذكرني بتلك الليلة المباركة، منهم الشيخ حامد البيتاوي، فهي بالنسبة لي قد تعودتها...

وكنا لعهد قريب في السجن وقد صلى الأخ الشهيد مصباح الصوري في غرفة من غرفنا في السجن ليلة 27 رمضان، بعد صلاة العشاء والتروايح، صلى ركعتين قرأ فيهما سورة البقرة، وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، والأنفال والتوبة، وعن ظهر قلب. وصلت في رمضان سنة 2010، في "سجنتي" الأخيرة التي أعقبها الإبعاد عن القدس، بأربعة أجزاء كاملة، ختمتها بالدعاء في ليلة 27 رمضان، وفي أقل من ساعة ونصف، ما جعل من الأخ عبد الرحمن شديد، من طولكرم، وابن كتائب الشهيد عز الدين القسام، بيدي استغرابه ممّا سمع من الإخوة في غرفتنا أن ذلك حصل.

## قهوة الجنة:

وكان مصباح الصوري رضي الله عنه محباً للقهوة، وفي نقاش مع فريق من الإخوة فيهم المجاهد عدنان أبو اسنيّة، سألت مصباح: هل يوجد في الجنة قهوة؟ وفريق يقول لا، وفريق يقول نعم. وحجة من يقول لا، أنه لا يوجد في الجنة نار توقد عليها القهوة، وحجة من يقول نعم، قوله تعالى ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>3</sup>. وحديث النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: "أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"<sup>4</sup>.

<sup>3</sup> القرآن الكريم، سورة الزخرف، آية 71.

<sup>4</sup> حديث متفق عليه، لنص الحديث انظر: صحيح الإمام البخاري، الحديث رقم 3244. [المحرر]

وبعد فترة من استشهاده، جاء مصباح زائراً للمجاهد محمد الخطيب في منامه يقول: يوجد في الجنة قهوة. وقصّ الأخ محمد الخطيب الرؤيا على الأخ عدنان أبو اسنينة فيما بعد. وحدثني إياه الأخ الحبيب عدنان أبو اسنينة، الذي جمعني به السجن، وخرج معنا في تبادل الأسرى، وهو والد المجاهد محمد خليل أبو اسنينة، الذي نفذ عملية الحاجز عند رأس خميس في عناتا، فقتل فيها جندياً وغنم سلاحه في جراحة منقطة النظر، كذلك قام المجاهد المذكور بقتل شرطي صهيوني في عملية باب الأسباط، وقد جمعني الأيام به من خلال "البوسطة".

نحن أناس عُباد في السجن، وعُباد خارج السجن، ومجاهدون يخشانا العدو، ويخشى كل حركة منا. لكن الظروف خارج السجن لها اهتمامات أخرى، وأعباؤها تأخذ منك جهد الليل والنهار. وداخل السجن في رمضان، كان منّا من يهتم كل يوم مرة، وكنت أهتم القرآن كل ثلاثة أيام مرة، وختمته في يوم واحد، أما خارج السجن، فالحال تختلف كثيراً للأسباب التي ذكرتها.

### جيل جديد:

هذه أيام رمضان، ولياليه تتميز بمدرسة عجيبة، وكان للمهنيين لنا من الناس حظاً معنا، أكثر من حظّ الأهل والبيت والأرحام، ونحتسب ذلك عند الله. وكان لطلبة الجامعات على الخصوص حضورهم الذي انتظروه، ولأن تربيتهم قائمة على الإعداد. وفي ظلّ المزايدة التي تمارسها الشبيبة الفتاوية على صعيد الكفاح المسلح، جعل من هؤلاء الفتية يشعرون بحاجتهم إلى ملء هذا الفراغ، وإلى متى هذا الانتظار وقد طال؟

كانوا في شوق لمعرفة الكثير عن سيرتنا الأولى، وتجربتنا التي أخذت سنين عجاظاً من أعمارنا، وخاصة أن لهم تجربة مشابهة في قسوتها من خلال النشاط الطلابي في الجامعات.

كنا نلتقي وإياهم في فهمنا لأبعاد الصراع، وصراع الأفكار، وحالة التيه الذي تعيشه القوى الأخرى بعيداً عن الإسلام. وكان الفتية يفصحون عن شوق للعمل الجهادي على استحياء، وبعضهم خوفاً من الإحراج. وكانت صدورهم حامية، تبحث عن يستوعبها ويحملها على الطريق، ومنهم من ظنّ أنني ضالته، ولم ينقطع ترددهم على

البيت، وعرفوا الطريق، وعرضوا عليّ صحبتهم في رحلات كانوا يقومون بها من خلال الجامعة، إلى المواقع الحاسمة من تاريخ هذه الأمة بمعاركها الفاصلة، مثل عين جالوت وحتين واليرموك وأجنادين، وعكا بأسوارها ومساجدها. وكان أكثرهم تردداً عليّ عادل عوض الله<sup>5</sup>، وصلاح الدين دروزة<sup>6</sup>، ومحبي الدين الشريف<sup>7</sup>، وكلهم استشهدوا لاحقاً... وكل هذا النشاط حتى يعيدوا للذاكرة أحداث تاريخ هذه الأمة وأمجادها، ولا ينقطع التعليق على ذلك.

وبعد أن انتهى شهر العسل من رمضان، وجاء العيد وخرج الناس للصلاة، صليت بهم وخطبتهم وألقيت على مسامعهم ما لم يعهدوه من قبل، وبعدها انطلقت في زيارة بيوت القرية بيتاً بيتاً مهنتاً بالعيد، وما رجعت للبيت إلا مع الغروب؛ لأن أهل القرية أبناء رجل واحد، وامرأة واحدة... فالقرية كلها "أبو طير".

وبعد العيد، تفرغت قليلاً للأهل والأقارب والأصحاب، وتنقلت ما بين المدن والقرى في فلسطين من شمالها إلى جنوبها عدا أم الرشراش. وحاضرت في المساجد وفي الجامعات

<sup>5</sup> عادل أحمد عوض الله (1967-1998): ولد في البيرة، ودرس الرياضيات في جامعة القدس. انضم مبكراً لجماعة الإخوان المسلمين. متزوج وله أربعة أبناء. نشط مبكراً في كتائب القسام، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني. بدأ عادل وعدد من إخوانه في سجون الاحتلال بالإعداد والتجهيز لتنظيم عسكري ضخم يغطي الضفة الغربية، ولهذا تم تدريب وتجهيز العشرات وتم العمل لإعداد مصنع متفجرات وتجهيز خلايا عسكرية لشن عمليات ضخمة لهز الاحتلال، وعمليات اغتيال وخطف جنود. عُيّن القائد العام لكتائب القسام والمطلوب الأول لقوات الاحتلال الصهيوني وأجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية. استشهد وشقيقه عماد في 1998/9/10 بعد اقتحام الاحتلال الصهيوني للمزرعة التي اختفى بها عادل بالقرب من الخليل، وكان هذا سبباً في تفكيك الاحتلال للتنظيم واعتقال العشرات وعلى رأسهم الشيخ أبو طير.

<sup>6</sup> صلاح الدين نور الدين دروزة (1964-2001): ولد في مدينة نابلس، حاصل على شهادة البكالوريوس في الأحياء من جامعة القدس، أمير الكتلة الإسلامية في الجامعة، متزوج وله ستة من الأبناء، اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني، وأبعد إلى مرج الزهور سنة 1992. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية. أحد قادة كتائب القسام الذين أعادوا تنظيم صفوفها تحت قيادة الشهيد جمال منصور إثر اندلاع انتفاضة الأقصى، المسؤول المباشر عن عدد من خلايا الكتائب التي أُنشئت في الاحتلال الصهيوني. ممثل حركة حماس في لجنة التنسيق الفصائي في محافظة نابلس. اغتيل في 2001/7/25 بعد أن قصفت طائرة صهيونية سيارته.

<sup>7</sup> محبي الدين ربحي الشريف (1966-1998): ولد في بلدة بيت حنينا شمال القدس. حاصل على بكالوريوس هندسة إلكترونيات من كلية العلوم والتكنولوجيا في جامعة القدس. انتظم مبكراً في صفوف كتائب القسام وكان مسؤولاً عن جهاز الاتصال داخل الكتائب. أسهم بالتجهيز والإعداد والدعم لعدد من العمليات الاستشهادية تحت قيادة الشهيد يحيى عياش. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في حركة حماس ودعم مطاردي الكتائب. طُرد للاحتلال بعد سنة 1995 وبدأ مع الشهيد عادل عوض الله في الإعداد والتدريب لجيل جديد من مهندسي القسام. وأشرف على عدد من العمليات. استشهد في 1998/3/29 في ظروف غامضة بعد مطاردة من أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية وقوات الاحتلال. استغلت السلطة الحادث للبدء بحملة تشويه للشهيد عادل عوض الله وقيادة كتائب القسام.

وما عتبت عليّ قرية ولا مدينة، حتى القرى المهجرة زرتها، زرت عكا ومساجدها، وخطبت من على منبر الجزار في يوم الجمعة، واعتليت أسوارها وتذكرت أمي، رحمها الله، في أمثلة تقولها: ”لو عكا بتخاف هدير البحر، ما سكنت عليه“. وزرت الناصرة واللد والرملة وراهط من أعمال بئر السبع، وزرت حيفا ويافا، وصليت في مساجدهما، وحاضرت وخطبت الجمع كذلك. زرت شفا عمرو والمشهد والرينة وكفر كنا وطرعان وكفر مندا، وحتى القرية الشركسية كفركما، وما من مسجد في هذه البلدات إلا وكانت لي فيه خطبة جمعة. وقمت بزيارة إلى قطاع غزة، وزرت الشيخ أحمد ياسين في بيته، وزرت الجامعة الإسلامية وحاضرت في طلبتها، وزرت خانيونس وبلدة عبسان الكبيرة إلى الشرق منها، لقُربى لنا هناك من آل أبي طير، وأقمت بينهم.

زياراتي هذه ومحاضراتي، وحتى خطب الجمعة، كانت بدعوات من إخواني وأصدقائي وشبكة علاقات واسعة، وحتى الأعراس الإسلامية شاركنا فيها بالكلمات، وزياراتي للجامعات (جامعة القدس في أبو ديس، وجامعة بيرزيت، وجامعة الخليل، والمعاهد)، لم تنقطع، ودرس الثلاثاء في مسجد الصخرة المشرفة. وأذكر أنني زرت قرية المشهد إلى الشرق من الناصرة، وخاطبت فيها جمعاً مهيباً وقلت: هذا مشهد من مشاهد صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله، ومن هذه التلال كان صلاح الدين يراقب جيوش الصليبيين ويرصد تحركاتهم، وإنني لأشتم رياح النصر من حطين، فجولدا مائير، رئيسة زواء العدو، وقفت على شاطئ أم الرشراش، والتي تسمى اليوم إيلات، وقالت: إنني لأشتم رياح خبير من هنا، وتعود بالذاكرة لقومها، الذين لا ترتفع رؤوسهم إلا حين تغيب المطرقة، كما قال سيد قطب، رحمه الله.

لقد حرصتُ وكان حرصي بالغاً، على أن أحافظ على الأذان لصلاة الصبح، أينما كنت داخل السجون وخارجها، وكنت أحياناً أرفع الأذان لصلاة الصبح والعشاء في المسجد الأقصى المبارك، وكنت أحافظ في كل يوم جمعة على الإمامة لصلاة الصبح فيه... وأصلي بسورتي السجدة والدهر.

كنا في المناسبات نتردد على غزة، وغيرها من المدن والقرى. ولما استشهد الأخوان جواد سلمية وصائب ذهب من غزة في جامعة بيرزيت، ذهبنا بوفد للتعزية، واستقبلنا

الدكتور عبد العزيز الرنتيسي<sup>8</sup>، في مخيم خان يونس للاجئين، وتقدمنا بالعزاء لوالد الشهيد جواد، وقدمني الدكتور لكلمة في هذه المناسبة. وفي طريق عودتنا، ذهبنا لبيت الشهيد صائب، وواسينا أهله، وأذكر كلمات للدكتور الرنتيسي، قالها لوالد الشهيد جواد: هؤلاء الإخوة من القدس، جاؤوا لتقديم واجب العزاء، وأهلنا في غزة على الخصوص يحتفون دوماً بأهل القدس.

وفي موقف آخر، كنت في ضيافة الشيخ صلاح شحادة، رفع الله درجاته في عليين، وهو أخي في الله وابن أمي في الود وما بيننا من عاطفة، تصل إلى البكاء عند اللقاء، قال لي: هيا نذهب لعرس إسلامي في جباليا أو سواها من شمال غزة، لا أذكر مع الليل. وذهبنا إلى العرس وحضرنا جانباً منه، ووقف خلال فقرات الحفل صبي صغير، أظنه في العاشرة من عمره، وكَبَّرَ وعلا صوته بالهتاف، الله أكبر والله الحمد، الله غايتنا والرسول زعيمنا... إلخ، فقال لي الشيخ صلاح: أتعرف من هذا الصبي؟ قلت: لا، وكيف أعرف؟ قال: هذا ابن المجاهد عرب مهرة، وعرب من مجموعة الشيخ الشهيد أحمد ياسين، ورفيق الشيخ صلاح في المجموعة.

## ما قبل الانتفاضة:

بين أن خرجنا من السجون سنة 1985 إلى بداية الانتفاضة الأولى سنة 1988، كانت الأحداث تتسارع في هذه المرحلة، وهذه المساحة من الزمن، ومضت ثلاث سنوات من العمر، ضمن هذه النشاطات، كنت إما في ضيافة الناس (لا على صعيد بيوت الأصدقاء وحدها، ولكن على صعيد كل نشاط ولقاء)، وإما هؤلاء الأحاب في ضيافتي ما بين حين وحين. وكل هذا الحراك يحمل في طياته أسئلة ولها إجابات لمرحلة قادمة. ومع نضج الصحوة على مستوى العالمين، في حقل الدعوة الإسلامية، فإن في ساحة العمل عناصر قوة ملتبهة وطاقة شبابية، فيها من الحيوية ما يعطيها الاستمرار، ولكنها تبحث عن وعاء يحتوي هذا المخزون. فالطلبة في الجامعات جذوة تتقد وضرامها لا

<sup>8</sup> عبد العزيز علي الرنتيسي (1947-2004): ولد في قرية بينا بالقرب من عسقلان، وهجر وأسرته لقطاع غزة. درس الطب في جامعة الإسكندرية. شغل عضوية عدد من الجمعيات والمؤسسات الخيرية، وعمل محاضراً في الجامعة الإسلامية. عضو المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في قطاع غزة لحظة تأسيس حماس وأحد أبرز مؤسسيها. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال وسجون السلطة الفلسطينية. تسلم مسؤولية حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في قطاع غزة بعد اغتيال الشيخ أحمد ياسين. اغتيل بقصف صاروخي استهدف سيارته في مدينة غزة في 2004/4/17.

ينطفئ، والمساجد بمن فيها عطاء لا ينضب ولا ينقطع، والتغيير الذي يتجدد مع تجدد التدافع، بعدما أفلست المنظمة، وعجزت الأنظمة أن تداوي الجراح، وأن تأخذ بالناس إلى الخلاص.

إنها طاقات تحتاج إلى تفرغ واستيعاب، فالاحتلال وممارساته، وحالة التراخي والضعف، وتلوث الثقافة التي مرت بها القضية الفلسطينية، جعلت ثقافة الاحتلال تأخذ مساحة من حياة الناس، بل إن ثقافة الاحتلال اقتحمت على الناس بيوتهم، وشارك الصهاينة بعض الناس في أعراسهم ومناسباتهم. كل هذا تدافع بقوة بعد هذه التخمّة من المحبطات، وفيها كذلك من الموقظات التي فجرت الانتفاضة الأولى. وما إن حضرت اللحظة الموعودة، وإذا بالطوفان قادم لا يقف في طريقه شيء، وأصبحت كلمة الانتفاضة على كل لسان، وأصبحت مصطلحاً تتناقله جميع اللغات من على فضائيات هذا العالم، وتتفاعل معه وتتابع أخباره.

إن الظروف باتت مهياً لهذا الانفجار، الذي خرج من رحمه هذا الطوفان، والذي عجز المحتل أن يواجهه مباشرة، بعدما حشد له حشوده، وعجز عن كيفية التعامل معه... بل حدد له بعداً زمنياً ظاناً أن بيده مقاليد الأمور، وأنه قادر على إنهاء هذه الحالة، ويملك من الجيوش وأجهزة الأمن ما يكفي لاحتواء هذه الظاهرة. كما كان الظنّ عند المنظمة أنها موجة صالحة للركوب والوصول، فأتانا بعملية التفاوضية عجز عنها الصهاينة، أتانا بأوسلو بديلاً، ما أفسد على المشروع الوطني أن يمضي في طريق انتفاضته إلى النهاية.

### اشتعال الانتفاضة وانطلاقة حماس:

كانت الأجواء مهياً لمثل هذا الانفجار، والكون لا يعرف السكون، ويد الله تعمل، فلا تقترح عليها كيف تعمل. وخطبت الجمعة في ساحة عسقلان قبل التحرير، أي سنة 1985، قلت فيها: إن المنطقة مقبلة على مرحلة تفجير إيماني، لن تترك شيئاً إلا أتت عليه، وستكون معلماً من معالم التاريخ.

ومع ما ذكرت فإن تخمة الإحباطات، وتراكم السلبيات في حياة الناس، وعلى صعيد واقعهم من جانب، ومراحل الإعداد الصامت مع متابعة الشارع، ودور الجامعات وانتفاضة المساجد ونجاح العمل الإسلامي في بناء المؤسسات من جانب آخر، قد ولّد هذا كله اللحظة المناسبة لانطلاق الحراك الشعبي، عندما حصلت حادثة المقطورة في

قطاع غزة، واستشهد أربعة من العمال، من مخيم جباليا للاجئين الفلسطينيين أواخر 1987. والمقطورة شاحنة نقل إسرائيلية كبيرة، صدمت أربعة من العمال الفلسطينيين وقتلتهم، وما إن شاع الخبر بين الناس، حتى خرجت جباليا بمن فيها في مظاهرات عارمة ضد الاحتلال. واجتمع قادة العمل الإسلامي في غزة لمتابعة الأحداث، والعمل على استمرارها، وكانت الجامعة الإسلامية غرفة عمليات، واجتماعات لقادة جماعة الإخوان المسلمين، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، وتواصلت الأحداث منذ أن انفجرت في 1987/12/8 إلى 1987/12/14، وصدور البيان الأول للانتفاضة باسم حركة المقاومة الإسلامية، ثم تبعه بيان للحزب الشيوعي. وبعد ذلك بأربعين يوماً خرج إلى الناس بيان للقيادة الوطنية الموحدة، والتي تضم فصائل منظمة التحرير.

لقد انطلقت شرارة الانتفاضة إلى ربوع الوطن الفلسطيني، حتى من هم داخل الخط الأخضر من سنة 1948، شاركوا لوجستياً في دعم هذه الانتفاضة، وتواصلوا مع إخوانهم وساعدوهم مادياً ومعنوياً، وكل من في الداخل الفلسطيني تبرعوا بإمكانيات هائلة من الأطعمة والألبسة والمال، من أجل أهلهم وذويهم.

وبقيت الانتفاضة من يوم إلى يوم تتجدد، وواجهت العدو بشراسة، الرجال والنساء والأطفال حتى كبار السن اندفعوا للمواجهة، وسقط كثير من الشهداء، ونتجت إعاقات مؤلمة وموجعة على أيدي آلة القمع الصهيونية. ويوم أن كان الأول من كانون الثاني/يناير من العام الجديد 1988، وصادف يوم جمعة، والمصلون على كثرتهم في المساجد، وعندهم الجاهزية التي لا تحتاج إلى تثوير، أو اندفاع إلى الشوارع، وكان هذا اليوم... ذكرى انطلاقة فتح سنة 1965، فلم تخرج الجماهير في هذا اليوم، بل كان من أهدأ أيام الانتفاضة. أقول هذا رداً على حديث لأبي إياد صلاح خلف، الذي قال: غداً ستخرج الجماهير على بكرة أبيها مع انطلاقة حركة فتح، فكان الجواب من مساجد غزة جميعها الهدوء التام؛ لأن حماس هي صاحبة الثقل على الخصوص في غزة بشأن هذه الانتفاضة. والصحافة العالمية تابعت ذلك، ومنها من زارني في بيتي، ووضحت لي حقيقة هذه الصورة كذلك لا كما يصورها إعلام المنظمة؛ كما اتضحت الصورة أكثر بعد أن اشتدت شوكة الانتفاضة، وأخذت بياناتها تتوالى مع كل شهر أو مناسبة..

لقد انطلقت شرارة الانتفاضة، وحاولت منظمة التحرير الفلسطينية، وذراعها في الأرض المحتلة وهي "القيادة الوطنية الموحدة" إقصاءنا، وكانت الحرب على شعاراتنا

ولافتاتنا وكتابتنا ونشاطنا الجماهيري، واعتداءات على شبابنا وعناصرنا داخل السجون وخارجها. وكان أبنائنا يفرزون تحت إطار الجبهة الشعبية في سجون الاحتلال؛ لأن فتح كانت لا تسمح أبداً لحركة حماس، أن تكون جسماً أو شريحة مستقلة بذاتها، وتحت مسمى حماس من خلال هذا المشروع الوطني، ولقد تعرض إخواننا للضرب المبرح والتكسير من شباب فتح داخل السجون.

وفي سجن الخليل، تعرّض الشيخ حسن يوسف<sup>9</sup>، والشيخ نايف الرجوب<sup>10</sup>، والشهيد جهاد السويطي<sup>11</sup>، والشهيد بسام مسالمة<sup>12</sup>، للضرب في ساحة سجن الخليل، وفرض الحصار على الفتية الصغار من حماس، ومُنعوا من الالتحاق بجماعتهم، بل عذبوا كما حصل مع عبد الناصر عيسى<sup>13</sup>، وجلال البراغيت في سجن الخليل. وحافظ الدبل

<sup>9</sup> حسن يوسف دار خليل (1954-): ولد في قرية الجانية قرب رام الله، حاصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة من جامعة القدس، اعتقل أكثر من 14 مرة في سجون الاحتلال منذ سنة 1971. شغل عضوية اللجنة الوطنية والإسلامية في محافظة رام الله ممثلاً لحركة حماس، وعمل ناطقاً باسم الحركة في الضفة الغربية. فاز في الانتخابات التشريعية سنة 2006 عن مدينة رام الله ضمن كتلة التغيير والإصلاح وهو في السجن.

<sup>10</sup> نايف محمود الرجوب (1958-): ولد في بلدة دورا قضاء الخليل. حاصل على بكالوريوس شريعة إسلامية من الجامعة الأردنية، والماجستير في القضاء الشرعي من جامعة الخليل. عضو فاعل في كثير من المؤسسات الاجتماعية والخيرية. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه القيادي في حركة حماس وأبعد إلى مرج الزهور سنة 1992. انتخب لعضوية المجلس التشريعي الفلسطيني عن مدينة الخليل سنة 2006، وعيّن وزيراً للأوقاف والشؤون الدينية في الحكومة الفلسطينية العاشرة سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال الصهيوني.

<sup>11</sup> جهاد محمد السويطي (1965-2004): ولد في بلدة بيت عوا قرب دورا الخليل. انتسب إلى جامعة القدس المفتوحة وعمل رجل أمن في مستشفى الأهلي في الخليل. متزوج وله خمسة أبناء. انتمى لحركة حماس وشارك في فعاليات منذ الانتفاضة الأولى، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية، وطورد للاحتلال منذ سنة 1997. قدم وخليته مساعدة للقسامي حسن سلامة، واستشهد في اشتباك مسلح مع القوات الصهيونية التي حاصرت المنزل الذي تواجد فيه في 2004/1/29.

<sup>12</sup> بسام يونس مسالمة (1965-1995): ولد في بلدة بيت عواغر بدورا الخليل، متزوج وله ثمانية أولاد. حاصل على بكالوريوس الشريعة الإسلامية من جامعة الخليل. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني لنشاطه في حركة حماس ولعلاقته بمطاردي كتائب القسام. استشهد في اشتباك مسلح في 1995/12/1 بعد محاصرة قوات الاحتلال لمنزله ورفضه الاستسلام.

<sup>13</sup> عبد الناصر عطا عيسى (1968-): من مواليد مخيم بلاطة في مدينة نابلس. درس الشريعة في جامعة النجاح وترأس الكتلة الإسلامية فيها. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في حركة حماس. التحق بكتائب القسام وعمل بصحبة الشهيد يحيى عياش. كان المسؤول المباشر عن عملية الاستشهادي لبيب عازم والاستشهادي سفيان جبارين، وعملية رامات أشكول Ramat Eshkol التي نفذت بعد اعتقاله بمتابعة من الشهيد محيي الدين الشريف. اعتقل بعد مطاردة من قبل أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية، وقوات الاحتلال الصهيوني في 1995/8/19. حكم بالسجن مدى الحياة، واستمر في نشاطه من داخل المعتقل، وأسهم في تأسيس خلية "شهداء من أجل الأسمى". عزل انفرادياً لسنوات.

في سجن عسقلان دخل إلى قسم (11) فقال له الناطق باسم القسم، وهو من فتح، لا يوجد هنا تنظيم حماس، فقال له حافظ: أنا حماس، وإذا لم يكن هنا حماس، فأنا وحدي حماس.

وفي معتقل مجدو وكذلك النقب، ضُرب إخواننا لأنهم أفرزوا تحت إطار حماس، وضُرب ناصر القدومي حتى أغمي عليه، ولولا أن إخواننا وأهالي المضروبين ذهبوا إلى عائلات الظلمة من قادة فتح، وهددوهم، بل إن إخواننا في خارج السجون، تربصوا بأناس ممن آذوا إخواننا داخل السجون... وقعدوا لهم يوم الإفراج عنهم، فانهالوا عليهم ضرباً ليكون المثل بالمثل، وحتى تنتهي هذه الظاهرة. وفعلاً انتهت وفرضنا أنفسنا على هذه الساحة، وذهب عرفات بعد أن عجز عن احتوائنا، وقال عنا إننا صنيعة رابين Yitzhak Rabin، وقبائل الزولو في جنوب أفريقيا، ذهب إلى إخواننا في الخارج، والتقاهم في السودان؛ ليعرض عليهم الدخول في المنظمة بعدد من المقاعد، فلما رأوا أن عرضه بعيدٌ عن الواقع أجابوه: أن هذا لا يكفي، فتركهم.

والسؤال، لماذا أقدمت دولة الاحتلال على إبعاد 416 من قيادات حماس والجهاد الإسلامي نهاية 1992، إلى مرج الزهور، دون غيرهم من المحسوبين على منظمة التحرير؟ نعم، لقد أبعدت "إسرائيل" كثيراً من أبناء الشعب الفلسطيني وهجرت شعباً كاملاً، لكنها لم تبعد قبل ذلك، مجموعات قيادية من فصائل منظمة التحرير، وأبعدت من أبعدت فرادى.

وعلى الرغم من هذا الإبعاد، هل انتهت حماس؟ وهل رُوضت حماس؟ وقد سألوا إيهود باراك Ehud Barak أيام كان رئيساً لأركان جيش العدو.. سألوه عن حماس، فأجاب: نمراً لا يُروّض.. هذا في الأيام الأولى من الانتفاضة. فهل انتهت حماس؟ أو غابت عن الساحة؟ أو تراجعت عن مشوارها؟ بل سألوا الشيخ أحمد ياسين عن حماس، فقال: "إنها تتعاضم"، نعم، إنها تتعاضم.

والظاهرة الأعجب والأغرب من خلال هذا الصراع، أن كل من يُبْعَد من فصائل المنظمة فتح، أو الجبهة الشعبية، أو الديمقراطية، إذا ما أُبْعِد فطريقه إلى بيروت أو دمشق أو تونس، ليتبوأ مقعده هناك بين الفنادق والعواصم، فهل فكروا للحظة بالذي فكر فيه إخواننا لما أُبْعِدوا إلى مرج الزهور على أرض لبنان؟ كان قرار إخواننا منذ اللحظة الأولى، أنهم لن يبرحوا أماكنهم حتى يعودوا إلى فلسطين، ودفعوا الثمن غالياً، وصبروا

على قسوة الطبيعة، وعلى وحشة المكان وعلى الثلوج المحيطة بهم، ولصبرهم هذا رفع الله ذكركم وتعاطف العالم معهم، وأرغم الاحتلال على إعادتهم إلى فلسطين بقرار من الأمم المتحدة، بعدما اضطر لتفعيل القرار 799 بهذا الخصوص.

لقد انطلقت شرارة الانتفاضة، وشاركت فيها كأني ابن خمسة عشر عاماً، وكتبت الشعارات على الجدران في بداية الأمر، وقمت بتوزيع البيانات في الطرقات ليلاً، إلى أن زحف شباننا من الجيل الثاني والثالث. وكان للقدس وأبنائها حضوراً في طباعة البيانات، وتوزيعها على الضفة الغربية، وحتى قطاع غزة، وأنا بنفسني حملت بسيارتي رزماً من البيانات، إلى بيت الأخ الحبيب الدكتور إبراهيم اليازوري، وكان على رأس القائمين على هذا العمل في القدس، أستاذنا المهندس (أبو سليمان) حسن القيق، رحمه الله، وفضيلة الشيخ (أبو حمزة) جميل حمامي، حفظه الله، وصحبت الشيخ جميل في زيارة إلى غزة إلى بيت الشيخ أحمد ياسين، وقد كان حمامي منسقاً ما بين الضفة وغزة على صعيد الانتفاضة. ومضت الانتفاضة في سبيلها، وكان لشباننا في المسجد الأقصى والقدس، وما جاورها من قرى، الحضور القوي في تطبيق ما جاء في البيانات على الأرض. وكان الشهيد إسلام أبو ارميلة، والشهيد زهير فراح<sup>14</sup> من الحاضرين بقوة في الميدان، وكان المجاهد أحمد عطون (أبو مجاهد)، هو القائد الميداني والناشط بفاعلية في منطقتنا صور باهر وأم طوبا. أما أول من سقط شهيداً، في الأيام الأولى من الانتفاضة، فقد كان أخونا الشهيد جمال مطر من جبل المكبر، الجبل الذي وقف عليه الفاروق عمر بن الخطاب مكبراً، لما رأى بيت المقدس ومسجدها.

ولما خرجت حركة حماس إلى العالم بميثاقها، وتدافعت وسائل الإعلام والصحافة تسأل عن هذا الميثاق، وعما جاء فيه، زارتنني صحفية إسبانية، وكأنها في جذورها ترجع إلى العرب، الذين أرغمتهم محاكم التفتيش على التنصر، وسألتني عن الميثاق وعن أبعاد هذا الصراع، وما هي استراتيجيتنا لهذه المرحلة وللمستقبل الصراع، فقلت لها: إن السيد المسيح ﷺ يقول: "ما أخذ بالسيف فبالسيف يُؤخذ"، ونحن سنلجأ إلى القوة إن لم نحصل على حقوقنا، ويرحل الاحتلال عن أرضنا... فقالت والله: وبلسان عربي.. الحمد لله.

<sup>14</sup> زهير رضوان فراح (1964-1994): ولد في البلدة القديمة في القدس. التحق بكلية البولتكنيك في الخليل ثم بكلية العلوم والتكنولوجيا وشغل عضوية مجلس الطلبة فيها عن الكتلة الإسلامية. تزوج من شقيقة الشهيد إسلام أبو ارميلة وله ولدين إبراهيم وزهير. نشط في كتائب القسام واستشهد في 1994/5/31 بصحبة عبد المنعم أبو حميد بعد أن هاجمهم قوة صهيونية خاصة في بلدة الرام.

وطلب المستشار الثقافي في القنصلية الأمريكية في القدس، غير مرة، زيارتي في البيت، ولو لشرب فنجان قهوة، وكنت أتردد، ولكنه أصرّ فكان له ذلك، ودار حديث حول حركة حماس ودورها في قيادة الشعب الفلسطيني.

كانت بيانات حركة المقاومة الإسلامية (حماس) تلقى احتراماً من الجمهور. وكان لها قبولٌ في أوساط المثقفين على الخصوص، وأذكر شهادة أستاذ من قريتنا هو الأستاذ (أبو جلال) علي حسن أبو طير، أن الأساتذة من إخواننا المسيحيين في مدرسة المطران وسواها، كانوا يحترمون بياناتنا، ويقرونها، ويقرون بمصداقيتها.

لقد واجهنا صعوبات جمة، إلى أن نجحنا في الوصول إلى صدارة الأحداث، ونحن نواجه العدو الصهيوني من جهة، والاعتداءات على شبّاننا ونشاطاتهم من فتح وحركة الشبيبة، والتنظيم التابع لها، من جهة أخرى. ولولا الشجاعة والثبات اللذان توفرا في عناصرنا وشبّاننا، ما استقامت الأمور، فمروان محمد سعيد أبو ارميلة<sup>15</sup> وفهد الشلودي<sup>16</sup>، والشهيدان راغب عابدين<sup>17</sup>، وطارق أبو عرفة<sup>18</sup> — الأخ الأصغر للمهندس خالد أبو عرفة — حسموا الأمور في مناطق الرام وضاحية البريد. وسلمان أبو عيد ومجموعات كان يقودها من قرى شمال القدس وغربها، هي التي أخذت على عاتقها نجاح الإضرابات في القدس على الخصوص، ونجح سلمان أبو عيد، والإخوة منصور شماسنة

<sup>15</sup> مروان محمد سعيد أبو ارميلة (1970-1994): من مواليد مدينة الخليل. نشط الشهيد في كتائب القسام "وحدة الأهوال"، واستشهد والشهيدان إياد أبو حديد ومحمد الأطرش، في 1994/3/22 بعد حصار استمر لأيام في أحد بيوت وادي القاضي في مدينة الخليل، تخلله اشتباك أدى لمقتل عدد من قادة وجنود الصهاينة.

<sup>16</sup> فهد صبري الشلودي (1972-): أسير مقدسي ولد في بلدة الرام، نشط في فعاليات حماس في منطقة القدس في أثناء الانتفاضة الأولى واعتقل لذلك. انضم لكتائب القسام "مجموعة القدس" وشارك في عدد من عملياتها. اعتقل في 1993/9/29، وحكم بالسجن المؤبد وستين عاماً. خرج في صفقة ولاء الأحرار في 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

<sup>17</sup> راغب رفيق عابدين (1973-1994): شهيد مقدسي من سكان الرام. نشط في كتائب القسام، وأسهم في عمليتين لأسر جنود صهاينة: الأولى في 1994/4/20، والثانية في 1994/7/6، وشارك في 1994/8/12 في محاولة استهداف منزل أرييل شارون Ariel Sharon داخل البلدة القديمة واستطاع الانسحاب سالماً بعد أن أصيب اثنين من إخوانه. استشهد في اشتباك مسلح مع الوحدات الصهيونية الخاصة في بلدة الرام في 1994/8/12 وأخوه طارق أبو عرفة.

<sup>18</sup> طارق إبراهيم أبو عرفة (...-1994): شهيد مقدسي، نشط في كتائب القسام، وهو الشقيق الأصغر لوزير شؤون القدس في الحكومة الفلسطينية العاشرة خالد أبو عرفة. أسهم في عمليتين لأسر جنود صهاينة الأولى في 1994/4/20، والثانية في 1994/7/6. استشهد في اشتباك مسلح مع الوحدات الصهيونية الخاصة في بلدة الرام في 1994/8/12 وأخوه راغب عابدين.

وسليم شماسنة ورياض أبو عيد، من تشكيل النواة الأولى للعمل العسكري بعد هذا المخاض، ودخل سلمان السجن معنا عام 1992، ليخرج بتشكيل جديد هو الأخوان زهران زهران<sup>19</sup>، وسليم أبو عيد، ولحق بهم زياد الخضور. وما توقف العطاء حتى بعدما استشهد الأخ الحبيب زهران، رحمة الله عليه، و(أبو سلطان) أيمن حجازي داخل البلدة القديمة، كان صاحب الحسم والجندي المجهول، وبصحبة محمد نجم تم تثبيت الإضرابات، وتوزيع البيانات داخل أسواق القدس، وتطبيق ما يرد فيها من فعاليات.

### والله ليقتلنهم الله شر قتلة:

وكمثال على ما واجهته حماس أرى نفسي تدفني للحديث عن كيفية استشهاد المجاهد محمود الحاج محمد في 1991/9/18، من قرية قُصرة جنوب شرقي نابلس، وكيف امتدت إليه يد الغدر برمية جبانة من سلاح أعمى، والأدهى من العمى هو الحقد الذي عشعش في قلوب من اغتالوه، والذين استمروا وظلم الناس.

الشهيد محمود الحاج محمد ماتت أمه ومات أبوه وهو صغير، فنشأ وترعرع في كنف خالته أم عوض، "والخاله أم"<sup>20</sup>، كما قال سيدنا رسول الله ﷺ فضنته كما حضنت أبناءها، بل وأكثر بسبب يتمه. وأما أبناءها فهم متدينون، ومعروف عنهم الالتزام في صفوف الحركة الإسلامية، فالشيخ عوض أبو سمير داعية، ويعمل مديراً لمراكز تحفيظ القرآن، والشيخ جمعة أبو أسامة كذلك داعية، وكلاهما يسكنان الآن عزبة سلمان، بالقرب من قلقيلية.

درس محمود علومه الشرعية في المدرسة الإسلامية في نابلس، وعرف طريقه إلى الله وزكاه عمله الدعوي. وكان حاضر النشاط، ويتنقل بين القرى قاصداً مساجدها يدعو إلى الله، ويعظ الناس بما تجمل به من خلق وأدب، ما دفع الناس إلى الإقبال عليه وعلى دعوته، وأصبحت له عندهم حظوة ومحضوه الحب والاحترام.

<sup>19</sup> زهران إبراهيم زهران (1968-1998): من مواليد قرية بدو قضاء القدس، حاصل على بكالوريوس الشريعة الإسلامية، ومتزوج وله خمسة أطفال. نشط مبكراً في صفوف حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، واعتقل لذلك عدة مرات في سجون الاحتلال وسجون السلطة الفلسطينية، ونشط في كتائب القسام وشارك في عدد من عملياتها. استشهد في 1998/9/29 في تفجير عبوة ناسفة في أثناء استلامه لصفقة سلاح، وأصيب معه سلمان وسليم أبو عيد.

<sup>20</sup> لنص الحديث وتخريجه انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الحديث رقم 1182. [المحرر]

وبعد أن انطلقت الانتفاضة الأولى سنة 1987، وكان لحركة فتح حضورها الواسع في القرى المحيطة بنابلس، وعلى الخصوص القرى الواقعة إلى الجنوب الشرقي من نابلس، والتي يطلقون عليها قلعة الفتح، أو منطقة الشهيد يونس عواد من قرية تلفيت، والذي استشهد في لبنان في أثناء الاجتياح، سعت حركة فتح جاهدة للسيطرة على المنطقة، وبسط نفوذها ولو بالقوة، وما يطلقون عليه "الإرهاب الثوري"، وأخذت تتدخل في كل شيء من حياة الناس، وتعمل على سحق أي منافس لها على الساحة. وجعلوا من قرية تلفيت مركزاً للقيادة والنشاط، وهي إلى الشرق من قبلان التي يسكنها عدد من كوادر فتح وقياداتها، وعلى رأسهم علي فرج، وعماد أبو عيشة، وطايل فرج، وأيسر شاهين، وقتيبة مُسَلَّم ونسيم مُسَلَّم، وأبو قاسم. وهؤلاء جميعاً فرضوا بمنطق القوة وبسطة السلاح، سيطرتهم على المنطقة، واستعانوا بالمطاردين المسلحين، الذين تلاحقهم سلطات الاحتلال، وبعض العائلات التي لها نفوذها وشوكتها.

أما حماس، فقد انطلقت في هذه المنطقة بعد شهرين من حركة فتح، على صعيد الانتفاضة، وكان للشهيد محمود الحاج محمد حضوره ونشاطه كما أسلفنا من قبل، حتى شكّل للعمل الإسلامي رافعة تنظيمية وقاعدة جماهيرية بما تميز به من هدوء، وبعدٍ عن الإثارة أو الاستفزاز. ولقد نجح الشهيد محمود في استمالة قلوب الناس، وخصوصاً على المستوى الرياضي؛ لأنه كان من القائمين على دوري الملاعب في كرة الطائرة، إلى جانب نشاطاته الأخرى، وكذلك لأن الناس بفطرتهم، ينغفرون من الاستبداد الذي تميزت به قيادة فتح في المنطقة، فكره الناس أفعالهم.

الشهيد محمود بنشاطه هذا، وبما حظي من قبول عند الناس، وكان وجهاً لحركة حماس في المنطقة، أعاظ "قلعة الفتح" وقيادتها في تلفيت، فحاولوا أن يمكروا بهذا العبد الفقير، والذي سحب البساط من تحتهم. وهذا ما كانت تتحدث به كوادرهم أن الشهيد محمود نغص عليهم ما هم فيه من النفوذ، حيث رفضت فتح أي وجود لحماس في تلفيت، بحجة أنها "فتح لاند"، وصدر كثير من البيانات عن فتح تحذر حماس من مغبة "التطاول"!! وكان لفتح ردات فعل حادة على نشاطات حماس العادية في القرى المجاورة لتلفيت، مثل جوريش وقبلان، كادت تؤدي إلى مجازر، وكل ذلك لأن عناصر من حماس قامت بتوزيع بيانات. فكيف ستقبل قيادات القلعة في تلفيت أن تقفح عليهم حماس مملكتهم، وعندهم من الردع بقوة السلاح والمطاردين ما يكفي.

الشهيد محمود كان وحدوياً، ويتعمى عن الشاذ من التصرفات، ويحرص على علاقات وحوارات مع قيادات فتح أينما كانت، وكان هذا سبباً لقوته وحضوره. وفي حديث لأحد الإخوة القريبين من محمود قال: كان محمود يزود فتح بمعلومات بل والسلاح لبعض نشاطاتها.

بعد قيام حماس بتصفية أحد العملاء في قرية دوما، وهي الحادثة الأولى لحماس على صعيد الانتفاضة، وتبع ذلك اختطاف عميل من بلدة قبلان، ضاقت قيادة القلعة في تلفيت من هذا الحضور لحماس، وازدادت حملتها على الحركة، حتى أصبحت تنظر إليها وكأنها كابوسٌ يلاحقها، وعليه فأول خطوة مطلوبة لقيادة القلعة هي ملاحقة الشهيد محمود الحاج.

كان الشهيد محمود في طريقه إلى بلدة قريوت للقاء الشهيد لبيب عازم، وهو من الذراع العسكرية لحماس، كما تبين لاحقاً حيث استشهد في عملية رمات غان الاستشهادية، وفي أثناء عودته من اللقاء نصبت فتح له كميناً، واحتجزته ثلاثة أيام، وحققت معه تحقيقاً قاسياً، وهددوه بالموت إن بقي على هذا المستوى من النشاط. وأقسم له المدعو عبد العظيم موسى، من قُصرة، وهي بلدة الشهيد محمود، أن القتل ينتظره إن لم يتراجع. وعبد العظيم هذا هو من نصب الكمين لمحمود كما حدث محمود، ورفض أي ردة فعل ضد من اختطفوه، وقال، رحمه الله: "أكلت قتلةً [ضُربت] في سبيل الله"، وأنا أسأل الله القصاص منهم.

بسبب هذا النشاط الذي مارسه محمود استدعته المخابرات الإسرائيلية، فرفض الذهاب، وطورد لفترة قصيرة، واقتصرت مطاردته على الاختباء ليلاً.

محمود لم يقتصر نشاطه على العمل السياسي أو العسكري، وإنما امتد نشاطه إلى العمل الاجتماعي والرياضي، وعليه قررت الحركة الإسلامية إجراء "دوري أو بطولة لكرة الطائرة"، في ملعب قرية تلفيت؛ ولأن الفريق الإسلامي الخاص بقرية تلفيت مُعدٌ جيداً لهذه المهمة، نظرت قيادة القلعة، فتح وكوادرها لهذا الأمر بحساسية بالغة... وعدّوه تحدياً، ووزعوا بياناً على مستوى تلفيت والقرى المجاورة يتهمون فيه حماس بالعمالة وعنوانه: "حماس هي شاس"<sup>21</sup>.

<sup>21</sup>شاس: اختصار لقائمة السفارديم Sephardim حامى التوراة، وهي حركة متطرفة لليهود الشرقيين تعمل وحزبها في الكنيست Knesset بتوجيهات من زعيمها الروحي الحاخام عوفاديا يوسف Ovadia Yosef؛ انظر: جوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية (رام الله: مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2009) ص 198. [المحرر]

لم يتوقف النشاط، وحضرت معظم الفرق الرياضية الإسلامية، المدعوة لهذه البطولة. وفريق قُصرة الذي شكله الشهيد محمود، ضمّ بين صفوفه اثنين من جبهة التحرير العربية، وهذا يوحي أن محموداً لم يقصد التحدي، والسؤال بتجرد: ما المانع أن تلتقي الفرق الرياضية، والأندية على كل ملعب في فلسطين؟

تقدمت الفرق في طريقها إلى تلفيت، وكان ممن يرمى هذا الدوري، المجاهدون عبد الحكيم حنيني، ورياض علي العملة، النائب في المجلس التشريعي اليوم، ونديم دوابشة، وهم من التعقل ورجاحة العقل ما يوزع منه على البلاد. هؤلاء قادة، ومن أنضج من عليّ منهم، (أبو حذيفة) عبد الحكيم حنيني ورياض العملة (أبو علي). وعلى أبواب تلفيت كانت فتح قد نصبت حواجز من المسلحين، على كل منها 8-9 عناصر، وذاع بين الناس تهديد قيادة القلعة لحماس من مغبة دخول القرية. فنزل الجميع من سياراتهم، ومشياً على الأقدام تقدموا، فبدأت فتح بإطلاق النار في الهواء، فتشاور الإخوة فيما بينهم، عبد الحكيم ورياض ونديم، وقرروا الرجوع عن المواجهة والصدام، حتى لا تسيل الدماء، والشهيد محمود أقر الرأي وأثر العودة والرجوع. وبصحة وسيط من فتح، واسمه سليم مسلم، ترجل محمود من السيارة ومعه الوسيط، وإذا بأحد الملتزمين الواقفين على الحاجز يطلق النار على محمود من بندقية إنجليزية فيرديه قتيلاً، ويجرح المجاهد لؤي شاهين من تلفيت، ويأسر عناد من قبلان، وعصام الأزعر... هؤلاء المجاهدون جرحوا على حاجز فتح، ولم تكتف فتح وقيادة القلعة بهذا، بل أصدرت بياناً اتهمت فيه حماس بأنها طعنت محموداً بسكين! ولكن مطارداً من فتح، وهو أيسر شاهين يتفاخر فيما بعد بقتله.

اجتمع القساميون للرد، وفيهم المطارد الغزّي عماد عقل<sup>22</sup>، وكان عندنا في الضفة، والمجاهد نديم دوابشة (أبو مصعب) من دوما، وآخرون، وفكروا بمعاقبة كل من شارك في قتل محمود الحاج محمد، وذهبوا إلى الشيخ حامد البيتاوي، واستفتوه في ذلك فقال، رضي الله عنه: "دعوهم لسهام القدر ودعاء السحر"، وقلت لما سمعت النبأ في حينها: "والله ليقتلنهم الله جميعاً شرّ قتلة".

<sup>22</sup> **عماد حسن عقل (1971-1993)**: ولد في مخيم جباليا شمال قطاع غزة لعائلة هجرت من قرية برعير سنة 1948. لم يكمل تعليمه بسبب اعتقاله لنشاطه في صفوف حماس ومشاركته في الانتفاضة الأولى سنة 1988. عمل في بداية سنة 1991 ضابط اتصال بين "مجموعة الشهداء" وهي أول مجموعات كتائب عز الدين القسام وبين قيادة كتائب القسام. طورد للاحتلال منذ نهاية 1992، وانتقل إلى الضفة الغربية وأسهم في تشكيل وتدريب عدد من الخلايا العسكرية في منطقة الخليل. عاد للقطاع ليبدأ سلسلة من العمليات ضد جنود الاحتلال. استشهد في 1993/11/24 بعد محاصرته في منزل أم نضال فرحات في حي الشجاعية بغزة.

وفي أثناء التشييع تكلم الشيخ عوض، ابن خالة الشهيد محمود، فقال: إننا وأهلنا وأصحاب الشهيد، نطلب القصاص من الله فقط لا غير. ودعا فقال: "اللهم اضرب الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بين أيديهم سالمين"، اللهم آمين. وتأتي الأيام على هؤلاء بالانتقام من الله بأن أوقع بينهم، فقتل بعضهم بعضاً، ويُقتل من الطرفين من عائلة فرج وعائلة مسلم ستة أشخاص، ومنهم ابن خالتهم الوسيط، والذي كان يشغل رئيس المجلس البلدي عندهم سليم مسلم. ويسجن قتيبة 35 سنة، وأما عبد العظيم موسى فيسجن 37 سنة، وتُشل اليد اليمنى لحسام فرج. أما من فاته ذلك، كعلي فرج وأخ له مع أحد أبنائهم، وإذا بخلاطة باطون يقودها ولد من أبناء رجل قتله علي فرج ومجموعته بتهمة العمالة، فطلع عليهم في سيارتهم، ولم يكتف هذا السائق بذلك، بل أخرج سلاحه وأجهز عليهم في سيارتهم، ولم يخرج منهم أحد حياً. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>23</sup>.

### يوسف إسلام في فلسطين:

كان للفضائيات والمحطات الإخبارية والصحف العالمية دورها في نقل الحدث وجرائم الاحتلال وتعزية جرائمه، وما ارتكبه آلة القمع الوحشية من مجازر بحق المواطنين العزل، وسياسة تكسير العظام، ودفن الأحياء التي مارسها وزير دفاع الاحتلال إسحق رابين، ورئيس وزرائه إسحق شامير Yitzhak Shamir، الذي قال في مؤتمر مدريد Madrid Conference: "سأفاوض الفلسطينيين عشرين سنة، ولن أعطيهم شيئاً". وبعد أن غادر شامير الحلبة السياسية أو عزلوه، حيث جعلوه تحت الإقامة الجبرية في ملجأ للعجزة، ما دفعه إلى القول: "رموني كالكلاب"، وهما هم الذين خدمهم طوال عمره، ينفضون أيديهم منه، ويديرون ظهورهم له...

هذه الممارسات دفعت بالرأي العام العالمي إلى أن يتعاطف مع معاناة الشعب الفلسطيني... وبعدها أربكت الانتفاضة خيارات الاحتلال، فوقف جيشه عاجزاً أمام شعب أعزل، يواجهه بصدور عارية، وضاعت هبة هذا الجيش، وتلوث من جديد بعد المذابح الأولى سنة 1948 وما بعدها إلى مذابح اليوم. لقد قامت الانتفاضة على أكتاف هذا الشعب، وقدم هذا الشعب تضحيات وشهداء، وكل يوم تأتي الانتفاضة

<sup>23</sup> القرآن الكريم، سورة النحل، آية 118.

بجديد. ولما وصلت أخبارها إلى العالم زرانا وفد من مسلمي أوروبا، وعلى رأس هذا الوفد الداعية الأخ يوسف إسلام، بعدما كان مطرباً للروك، واسمه سابقاً كات ستيفن Cat Stevens، والذي أراد الله له الهداية، هنا في فلسطين، في المسجد الأقصى. وخلال زيارتنا إلى المواطن الساخنة في الأحداث، حدثني الأخ يوسف عن قصة إسلامه، فقال: كانت لي زيارات للأرض المقدسة، ومرشدنا يهودي لا يسمح لنا بالخروج عن النص، حيث كان يجنبنا زيارة المسجد الأقصى، والرغبة عندي جامحة، ولا أدري حينها ما السبب من وراء ذلك. ولما انتهت زيارتي دون زيارة المسجد الأقصى ورجعت إلى لندن، وتعرضت لحالة مرضية أقعدتني في المستشفى فترة طويلة، زارني أخي وأنا طريح الفراش، وأحضر لي معه قرآناً مترجماً إلى اللغة الإنجليزية. وفي أثناء مرضي أخذت أتصفح القرآن يومياً، فوجدته كتاب قوانين لا كما يقولون، ولا كما تعلمنا أن محمداً كعيسى، ينسبون له الألوهية كما نعتقد نحن في المسيحية، ونقول عن دينه الدين المحمدي كما تعودنا، أن نقول عن الدين المسيحي، وهذا ما اكتشفته أنه تجنُّ على محمد ﷺ وظلم لرسالته بعد الهداية.

ويواصل يوسف إسلام حديثه: ولما تعافيت من المرض، وقررت أن أقوم بزيارة أخرى إلى معالم القدس، وعلى الخصوص المسجد الأقصى، الذي حاولت من قبل أن أزوره، لكن المرشد السياحي كان يتحاشى ذلك، وفي هذه المرة طلبت منه أن يجعل في برنامج السياحة... زيارة المسجد الأقصى، لكنه رفض ذلك مرة أخرى متذرعاً بأنه لا خروج على البرنامج، والوقت لا يسمح.

يقول يوسف: وفي اليوم الثاني اعتذرت عن صُحبة المرشد ومن معه، وبقيت في الفندق، وبعد أن غادروا طلبت سيارة أجرة، وذهبت إلى جبل الزيتون المطل على المسجد الأقصى وعلى القدس. ويقول: ثم نزلت من هناك مشياً على الأقدام حتى دخلت من باب الأسباط إلى ساحة المسجد الأقصى، وما إن وطئت قدمي ساحة المسجد وإذا بشعور من الرهبة يملكني، بينما سبق لي أن زرت كنائس عدة، ومنها كنيسة القيامة، دون أن تثير في هذا الشعور. ولما أذن المؤذن لصلاة العصر، وأنا عند صحن الوضوء، طلبت من أحد الشبان أن يعلمني الوضوء، وتوضأت، وسألت عن كيفية صلاة العصر، وصليتها مع الإمام، وكانت الصلاة الأولى في حياتي. وقد سألني الشاب الذي علمني الوضوء، أأنت مسلم؟ قلت له: نعم، وبعدها ذهبت إلى المحكمة الشرعية في شارع صلاح الدين، وأشهرت إسلامي هناك، ورجعت إلى بريطانيا وأنا على دين الإسلام والحمد لله.

والأخ يوسف ومن رافقه من الوفد، كان لي وإخوة آخرين، شرف مصاحبتهم في تنقلاتهم إلى مواقع الأحداث التي أفرزتها الانتفاضة، إلى قرية سالم، حيث دُفن الأحياء، وإلى مدينة نابلس والمخيمات... وإلى قطاع غزة ومخيماته، وأظن أننا تناولنا طعام الغداء في مطعم الجامعة الإسلامية، بضيافة الداعية ورجل الإصلاح أبو ناصر الكجك، والد الشهيد ناصر الكجك، الذي اتخذه الله شهيداً في الانتفاضة الأولى.

وصحبنا الأخ يوسف إلى مدينة الناصرة وإلى بلدة كفر كنا، حيث كان مهرجان الفن الإسلامي، الذي تقوم عليه الحركة الإسلامية، داخل الخط الأخضر في فلسطين المحتلة سنة 1948، وكان للأخ يوسف كلمته وأناشيده الإسلامية بدلاً من الروك.

### بعض الحوادث والقصص:

ذات مرة كنت ورفيق دربي ابن خالتي في طريقنا إلى غزة، وفي جعبتنا بيانات لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وانطلقت بنا سيارتنا تطوي الطريق، من القدس فبيت لحم إلى مدينة الخليل، ثم عرّجنا على بلدة الظاهرية، في دعوة لحضور زفاف إسلامي. نزلت في الظاهرية وصلينا صلاتي المغرب والعشاء، وحضرنا جانباً من حفل الزفاف، وقد تأخرنا عن موعدنا... المهم أخذ الحفل حظاً من وقتنا، وانطلقنا إلى بئر السبع ومن هناك إلى غزة، ومن الشرق أتيناها...

ولما وصلنا إلى الحاجز العسكري الذي يسمى نحال عوز، إلى الشرق من حي الشجاعية، بادرت أنا الجندي، الذي يؤشر بمصباحه، بلكنة عبرية في السؤال عن الطريق إلى مستعمرة غوش قطيف، فدلني ظاناً أننا يهود. وسرنا حتى وصلنا إلى بغيتنا، وسلمنا البضاعة إلى أصحابها. وقفلنا راجعين عن طريق بيت حانون إلى القدس.

ومرة أخرى كنت في مهمة، وسائق السيارة من إخواننا، لكنه يحتاج إلى "درجة"، قلت له ونحن في الطريق من القدس إلى رام الله، إياك والتردد، ثم إياك والارتباك فإنه يخرب علينا، قال لي: "ولا يهكم". وتوكلنا على الله، والسيارة تطوي الطريق إلى نابلس فجنين فالناصرية، ولما وصلنا حاجزاً عسكرياً يسمى زعترية إلى الشرق من سلفيت، والسيارات في صف طويل، فقلت له أعط الإشارة اليسرى من الضوء وانطلق؛ لأن سيارتنا نمرة صفراء وهويتنا زرقاء من القدس، وسيظن الجنود أننا مستوطنون، فتلثم قليلاً ثم انطلق، ونظر إلينا العسكري والظن عنده أننا من قومه.



ولما وصلنا إلى أول نابلس وإذا بحواجز ترابية، وممر ضيق وعليها شرطة إسرائيلية، فارتبك الأخ مرة أخرى، وقلت له: ارجع من حيث جئنا، ومع التفاتة من ضابط الشرطة، فأنقذت الموقف وسألته: الطريق إلى الناصرة، فأشار من هنا. وسرنا على ما يرام. ولما تخطينا نابلس إلى جنين وعند دير شرف، وإذا بطابور من السيارات لنصف كيلومتر أو يزيد وعلى خطين، قلت لصاحبنا: أعط إشارة وتخط الجميع، وكان ذلك حتى وصلنا إلى مدينة الناصرة، فشفا عمرو وحيفا، وبعد أن انتهت مهمتنا، رجعنا بحمد الله وتوفيقه.

ومرة في الليل، وكثيراً ما كنت أتجول ومسدسي على جنبي، سرت به من أم طوبا إلى شفا عمرو. ولما اقتربت الساعة من العاشرة والنصف ليلاً، وإذا بحاجز عسكري عند العوجا شمال أريحا، فأشار إلينا الجندي بمصباحه بالتوقف، فوقفنا وسألنا وهو يظن أننا مستوطنون، هل معكم سلاح؟ وهو يقصد للحماية، فأجبتة بالعبرية: نعم، كل شيء تمام، وهو يقترح أن تصحبنا سيارة عسكرية للحراسة. فسرنا وقلنا له بالعبرية شكراً، لا داعي لذلك.

## الاعتقال الثاني:

كان يتردد على بيتي الدكتور سفيان الخطيب من القدس، وهو محسوب في ذلك الحين على الجبهة الشعبية - القيادة العامة، وأمينها العام أحمد جبريل (أبو جهاد). ومن الوفاء أن نشير إلى أنه ساعدنا خلال صفقة التبادل، واستجاب لرسالتنا "ومن لا يشكر الناس لا يشكر ربّ الناس".

سفيان أتاني غير مرة ما بين سنتي 1987-1988، وحدثني عن هموم وأخطار تواجه الانتفاضة، وأن عرفات ينتهج خطأ يريد من ورائه لهذه الانتفاضة أن تجير للحلول السلمية، فلا بدّ من جسم وطني من الداخل، يتصدى لهذا النهج الذي أخذ ينحرف بالانتفاضة عن مسارها، وهذا ما شهدت عليه الأيام - وزودني بقائمة من الشخصيات الوطنية، وحرص أن يكون اسمي من ضمنها ممثلاً عن حماس...

توطدت علاقتي بالدكتور سفيان، ودخل على خطّ هذه العلاقة إخواني من الخارج نبيل مخزومي والحاج حافظ الدلقموني ويوسف العجوري، الذين أسهموا في بناء الجماعة الإسلامية داخل السجون. ولإيماننا بالعمل العسكري تواصل معي الأخ نبيل، بعدما التحق بصفوف الجبهة الشعبية - القيادة العامة، وجاء تواصله عن طريق أخيه

باسم، الذي التقاه غير مرة في القاهرة. ومن خلال رحلة الذهاب والإياب اعتقل باسم في مطار اللد، وهو في طريق العودة وخضع للتحقيق، واعترف على علاقته بأخيه نبيل، وذكرني في اعترافاته، وذكر حديثاً دار بيني وبينه في بيتي، ورسالة شفوية يتحدث فيها نبيل عن حاجة الساحة للعمل العسكري، وأن الإخوة في الخارج على استعداد لتلبية احتياجاتنا، في مغالبة هذا العدو.

وكلا الأخوين، الدكتور سفيان والأخ باسم، يدركان أنني ملتزم بجماعة الإخوان المسلمين، وأن حماس هي العنوان في هذا الحراك، وأن هذا التفاهم وهذا التواصل... وكل دعم لتعزيز الانتفاضة، لا يُعدُّ بيعةً لأي تنظيم على الساحة، عدا تنظيمي الأساسي.

اعتقل باسم، وذكر في التحقيق أنه كان لي خطٌّ مع القيادة العامة. وهذا الاعتراف من ورائه اعتراف عند المخابرات، ولا يحتاج إلى طول انتظار، فعجل في اعتقالي، فكان أن اقتادوني إلى المسكوبية، ثم إلى مركز تحقيق الجملة ما بين حيفا وجنين. وقبل الحديث عن رحلة التحقيق، كنت قد كتبت رسالة إلى الأخ أحمد جبريل، شكرت له صبره وجهده ونجاحه في عملية التبادل، ثم عرجت في الرسالة على الدكتور سفيان الخطيب، وقلت: لو كان في الساحة من هو مخلص في عمله للقيادة العامة، لكان تنظيم القيادة العامة حاضراً وقوياً في القدس والصفة. وكانت الرسالة "مكبسلة"، "وشغل أسرى حسب تقاليدهم"، ولم أجد سبيلاً لإيصالها، إلا سفيان الذي تبرع ووعد أن تصل عن طريق مأمونة... وأظنها لم تصل؛ لأنه فتحها واطلع على ما فيها، وبعدها بهتت العلاقة بيننا.

بتاريخ 1989/2/1 جاءت قوة من حرس الحدود والشرطة والشاباك، وأحاطوا بالبيت، وهم مدججون بالسلاح، وبأمر اعتقالي أخذوني إلى المسكوبية، لأنام تلك الليلة في زنارزينا. ثم سفروني إلى تحقيق الجملة، وهناك كان المسلخ، وسميتها سلخانة، وهي كذلك، وتحقيق جامد، وضرب وخلع، ودكُّ بحائط مدبب كالمسامير — نقول له "مشبرس" — بظهري حتى تمرقت ملابسي، وسال الدم من ظهري، وبقيت على هذه الحال في التحقيق شهراً على التمام حتى يئسوا مني. بعد أن التقيت الأخ باسم، واعترفت أن ما بيني وبين الأخ نبيل هي صحبة السجن، وعرض علي أن آتي بالسلاح عن طريق رفح، فما تجاوزت مع ذلك. وفي الليلة الأخيرة من التحقيق رأيت في المنام أن أفعى تتلوى بين ساقَيَّ وما أدتني، وأنا على ظهر بيتي. ثم كنت على تلة، وإذا بأسحق شامير، وكان رئيس وزراء العدو وقتها، يزحف نحوني وهو حافي القدمين، وما وصلني،

وإذا بالآية الكريمة تختم الرؤيا من قوله تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾<sup>24</sup>، وبعدها استيقظت فاستبشرت وقلت كفاني الله إياهم، وما سألوني بعدها.

وقد دار حديث بيني وبين المحقق عن مقابلات صحفية مع صحف غربية، منها شيكاغو تريبيون Chicago Tribune، وأني قلت فيها إن فلسطين من بحرِها لنهرها، هي للفلسطينيين وللعرب والمسلمين، وإننا لن نتخلى عن حبة رمل من أرض فلسطين. فقال: أين نذهب؟ فقلت من حيث أتيتم، أو تقبلون بحكمنا، فقال قائد في الشاباك: نعلنها حرباً عالمية ثالثة، ولا نقبل بحكم العرب.

ومن أطراف الحديث عن مقدمة ابن خلدون، وقد سبق لي أن قرأتها في سجن الرملة، قال المحقق، أعجب من عربي لا يقرأ لابن خلدون هذه المقدمة، وكذلك كتب الجاحظ، وعلى الخصوص كتاب الحيوان، فلما قرأت كتاب الحيوان للجاحظ قلت: بقدر ما عنده أدب... بقدر ما هو قليل أدب.

وقبل أن أرحل إلى الرملة مرة أخرى، إلى سجن نيتسان، زارني بروفييسور من جامعة حيفا، وأنا في زنازين التحقيق، وجلس معي لأكثر من ساعة، في حديث عن الحركة الإسلامية وعن حماس ومستقبل الصراع، وفجأة سألني عن الدكتور الشهيد عبد الله عزام، ماذا يفعل في أفغانستان؟ فوالله ما خطر على بالي بعد سؤاله إلا أن التخطيط قائم لاغتياله. وفي السنة نفسها في 1989/10/24 استشهد عبد الله عزام، رحمه الله.

## الانتقال إلى سجن نيتسان في الرملة:

بعد بوسطة لمحكمة اللد العسكرية، وبحضور قضاة المحكمة والنيابة والمحامي، قدمت النيابة العسكرية لائحة اتهام ضدي، وترافع عني في هذه المحكمة الأستاذ علي رافع من الجليل الأعلى، ثم استبدلته بمحام يهودي هو فيلدمان، وهو من الضالعين في القانون العسكري والمدني الإسرائيلي. ترافع عني وعن الأخ باسم مخزومي من الناصرة، ولهذه اللحظة لم تصدر أحكاماً ضدنا. فانتقلت من سجن الجملة إلى سجن نيتسان في الرملة، ولما وصلت إلى السجن ودخلت إلى غرفة من غرفه، استقبلني الإخوة من فتح، منهم الدكتور طلال أبو عفيفة، وهو رجل فاضل ومؤدب، والأخ صلاح زحايكة، وهما من القدس. وكان من الفتية الذين حرصوا على معرفتي، وهم من الداخل الفلسطيني الإخوة

<sup>24</sup>القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 137.

سمير سرساوي، وعلي عمرية، ووليد أفندي، وماجد الحلف، وهم بدو من عرب الحلف في قرية اسمها إبطن، إلى الجنوب من حيفا؛ شباناً محترمون تمرّدوا على واقعهم، وتفاعلنا مع الشباب وقمنا بالواجب نحوهم. وكانوا عن طريق مصر والخارج قد انتظموا في صفوف الثورة الفلسطينية، ومنهم من أنهى حكمه، ومنهم من هو حتى الآن في السجن، مثل سمير، أما علي عمرية فقد حظي بالخروج في صفقة وفاء الأحرار. وتعرفت من خلال سجن نيتسان إلى الأخ والمقاتل الليبي خليفة الصغير المبروك<sup>25</sup>، دخل الحدود مع فلسطين عن طريق لبنان وزميل له في عملية عسكرية، من ورائها جبهة النضال الشعبي. وفي السجن كان خليفة حامل لواء القومية العربية، وعبد الناصر والقذافي تبولاً في نفسه مقعداً، وحر به على الإخوان المسلمين بلا هوادة، ويرميهم بأنهم عملاء للغرب. فقلت له من خلال حديث غير مرة، ولأكثر من يوم: أنت يا صاحبي متسرع في حكمك على الناس، أنت تائه عن الطريق، ومعمّر القذافي بكتابه الأخضر، خارج عن ملة المسلمين، وحاول أن يدافع عن القذافي وعن حروبه في تشاد، وقد كان جندياً هناك... وأستاذاً يعلم في مدارسها. ولكن مع الزمن علاجه، وصاحبنا عنده استعداد أن يسمع ويفهم، وحرصت على متابعتة، إلى أن اقتنع مع الأيام، وأصبح من الإخوان المسلمين، وبقي مع الجماعة داخل السجن عشر سنوات، ثم أفرج عنه سنة 1999، ومجموعة أخرى من الشباب كبادرة حسن نية من الاحتلال للسلطة الفلسطينية. وخرج إلى غزة، وهناك تزوج من القطاع، وبعد ذلك عاد إلى أهله في ليبيا. وكان نعم الأخ ونعم صاحب.

وكان في القسم الثاني من سجن نيتسان الإخوة من حركة حماس من القدس وضواحيها، من صور باهر الأخ المجاهد أحمد عطون، وهو النائب في المجلس التشريعي اليوم، والمبعد عن القدس مع نوابها الإسلاميين ووزيرها. وكان في السجن كذلك الأخ عبد الباسط الرازم، والأخ أحمد مهنا، والأخوان أبو حلمي وأبو أدهم جبارين من أم الفحم. وتعرض الأخ أبو مجاهد والأخ محمود عطون (أبو العز) إلى "قمعة" موجعة بالعصي والهرات، وعُزلا في الزنازين، يفترشان الأرض ويلتحقان السماء لثلاثة أيام، والدماء تسيل من رأسيهما وجسديهما.

<sup>25</sup> خليفة الصغير المبروك (1959-): أسير ليبي ولد في منطقة الريانة، حاصل على دبلوم معلمين خاص، وبكالوريوس علوم سياسية. انضم للثورة الفلسطينية سنة 1988، وشارك في عدد من عمليات المقاومة في الجنوب اللبناني. اعتقل في 1988/8/29 بعد اشتباك مع قوة صهيونية بالقرب من مزارع شبعا اللبنانية. حكم بالسجن لمدة عشرين عاماً، وأطلق سراحه سنة 1999 إلى قطاع غزة. رافق الشيخ أحمد ياسين في سجنه، عاد إلى ليبيا وبعد الثورة على نظام القذافي رشح نفسه لانتخابات المجلس الوطني الليبي.

انتهى إلى مسامعنا، ونحن في القسم الثاني من سجن نيتسان، خبر وفاة الرفيق عمر القاسم، نتيجة لمرض عضال ألمّ به ولم يمهله طويلاً، أعاذنا الله منه ومن كل مكروه ألا وهو مرض السرطان. وقد قامت على تأبينه في السجن الجبهتان الشعبية والديمقراطية، وقدمني رفيق (الشعبية) محمود الصفدي، لألقي كلمة باسم الجهاد الإسلامي، وقد عزّ عليه أن يعترف بحماس، ووجدت أنه لا يضيرني أن تكون الكلمة باسم الجهاد الإسلامي، فهم إخواني. ولكن ما عبرت عنه نفوس القوم هو تجاهل حماس، وجهلهم بحجم حماس، فحماس أكبر من أن يتجاهلها أحد، والتاريخ قال كلمته فيها وفي غيرها.

مات عمر القاسم، والأعمار بيد الله، ولكن كان على الجبهة الديمقراطية، أن تسعى جاهدة لعملية تبادل لجثة جندي درزي من جنود الاحتلال عندها، اسمه سمير أسعد، لتعزّذ إلى عمر القاسم وأهله ورفاقه، فرحل عمر القاسم بعد أن تمكّن المرض منه، وبادلت الديمقراطية بالجثة كادراً من كوادرها في الخارج، واسمه علي أبو هلال من بلدة أبو ديس، ليعود من المنفى إلى أرض الوطن. وقد مضى على عمر القاسم في السجن 22 سنة.

وفي سجن نيتسان، التقيت الرجل الفاضل والأخ الحبيب المهندس مصطفى أبو زهرة (أبو الأمين) في قضية إدارية، والتقيت الرفيق عبد اللطيف غيث (أبو نضال) من الجبهة الشعبية، وهو كذلك على خلفية إدارية، وسمعت منه تعليقاً على الانتفاضة وحال المنظمة قبل الانتفاضة، فقال: إن المنظمة قد تودّع منها وأصبحت مكاتب، ولولا الانتفاضة ما قامت لها قائمة، ثم رحّلت إلى عسقلان.

## الحكم الثاني والعودة لعسقلان:

وفي أواخر شهر كانون الأول/ ديسمبر 1989 صدر الحكم ضدي من المحكمة العسكرية في اللد لمدة سنة وشهر. والقاضي الذي حكمني يلقب بـ”الضفدع“، وهو من حكمني سنة 1975 في المحكمة نفسها. ورجعت إلى عسقلان بعد غياب أربع سنوات ونصف تقريباً، ونزلت ضيفاً على قسم (11)، في غرفة تتسع لأكثر من ثلاثين، فيها الرفيق سمعان خوري وعدنان شلالدة، وشبان أكثر من الفصائل جميعها بما فيها حماس والجهاد. وأيامها كان الاتحاد السوفييتي قد بدت عليه علامات الانهيار والترهل، وانفرط عقد الكتلة الشرقية وحلف وارسو Warsaw Pact، وأتى الناس على

سور برلين فأطاحوا به، وتحرر الناس من كابوس الإلحاد والشيوعية. وخرج علينا ميخائيل غورباتشوف Mikhail Gorbachev بالبريسترويكا—وتعني إعادة البناء للاقتصاد السوفييتي—، وأذكر جيداً وقد خطبت عن ذلك الموقف خطبة جمعة، وذلك أن بوش الأب George Bush (الرئيس الأمريكي) وغورباتشوف أرادا اللقاء على بارجة لأحد الطرفين في البحر المتوسط، وحال الموجُ دون اللقاء... وعلا الموجُ كالجبال، وأخيراً نزل الاثنان إلى مالطا، وتمّ اللقاء هناك. وحاول بعض الرفاق أن يعلل سبب انهيار السوفييت، فقلت لهم: من قديم كنت أتربع للجدال، أما اليوم فسور برلين انهار وهو يجادل عنا، وسقط الفكر الماركسي بسقوطه. والعجيب أنه سقط هناك، وعاد الناس إلى المساجد والكنائس، ولكن دعاة الإلحاد في بلادنا لا يزالون على حالهم.

وجمعتني أيام السجن بالأستاذ والمهندس حسن القيق (أبو سليمان)، رحمه الله، وفي غرفة من غرف القسم عشنا معاً. وعلى عادتي كنت أخرج للرياضة من كل صباح، وهذا الأمر جديد على الأستاذ، فقلت له: أنا أميرك في السجن، وعندما نخرج من السجن فأنت أمير الكل، أما الآن فألي الساحة وبملابس الرياضة، وقد اعتاد على الرسميات، ومشيت الأمور، والأستاذ (سيدٌ من تفهّم). وفي الليل وخلال النهار كانت تدرؤ بيننا أحاديث، وأسمع منه من الشعر والأمثال، وحفظت عنه بيتاً من الشعر كان كثيراً ما يردده:

والليالي من الزمان حبالى  
مثقلات يلدن كل عجيبة

وفي قسم (11) كان يتردد علينا إخوة لنا، في طريقهم إلى محكمة إيرز العسكرية، وهم ممن اعتقلوا في الضربة الأولى والكبيرة لحركة حماس، وعلى إثر خطف الجنديين الإسرائيليين إيلان سعدون Ilan Sa'adon وآفي ساسبورتس Avi Sasportas سنة 1989، ولي حديث لاحق عن هذه الضربة، وعن قسم العزل. أما الآن فكان من الذين يترددون على المحكمة المهندس إسماعيل أبو شنب وكنيته أبو الحسن<sup>26</sup>، وكذلك المحامي محمد فرج الغول، وجميع من له محكمة، وكانا معزولين أسفل سجن الرملة.

<sup>26</sup> إسماعيل حسن أبو شنب (1950-2003): ولد في مخيم النصيرات وسط قطاع غزة لعائلة تعود أصولها لقرية الجية. درس الهندسة بمصر وفي الولايات المتحدة. عمل محاضراً في جامعة النجاح الوطنية، وله دور في العمل النقابي والاجتماعي. شغل رئاسة نقابة المهندسين، وعمل في وكالة الأونروا. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني. شغل عضوية المكتب الإداري للإخوان المسلمين في قطاع غزة—حماس لاحقاً، ورأس مركز المستقبل للدراسات، ومثل حركة المقاومة الإسلامية حماس في اللقاءات مع السلطة الفلسطينية والفصائل. اغتيل بقصف صاروخي استهدف سيارته يوم 2003/8/21.

كان ممنوعاً على هؤلاء الإخوة، وهم في طريقهم إلى المحكمة، أن يختلطوا بأحد من السجناء، فهم معزولون حتى في ترحالهم. وكان المهندس أبو شنب على علاقة مع أستاذنا أبي سليمان، وحاول المحقق مع أبي الحسن أن يفتح في التحقيق على أبي سليمان، لكن الله سلّم، وصبر الحاج أبو شنب، ولم ينبس ببنت شفة. وقال لي: اقرأ السلام على أبي سليمان خوفاً من الملاحظة، وقل له: سألوا عنه في التحقيق. وكان بالإمكان أن يتبادلا التحية والسلام، لكن لحساسية الوضع كنت أنا الواسطة والمرسال، رحمهما الله. وجمعنا السجن بمهندس كريم على شاكلة المهندس أبي شنب، هو المهندس خالد أبو عرفة والمقرب من أبي سليمان، ثلاثتهم درسوا الهندسة... وهندسة نفوسهم عظيمة.

لقد شكلت الانتفاضة ظاهرة عظيمة، وشغلت الرأي العام العالمي والمحلي بأحداثها، وعطاء هذا الشعب من الدماء والأشلاء والشهداء بلا حدود. وفرضت هذه الأحداث على العالم أن يتعاطف مع التضحيات الجسام التي قدمها هذا الشعب. وكان لأهلنا في الداخل المحتل حضورهم، فتعاطفوا مع إخوانهم، وتعاطف أبناء الوطن مع هذا الحراك، ومن أبنائهم من دخل السجن، من يافا والنقب وأم الفحم والناصرة واللد والجليل وقرى المثلث... التقينا أبناء هذه المدن جميعاً وعشنا وإياهم، فهم منا ونحن منهم. أما يافا، فقد عمل الاحتلال جاهداً على تفريقها وإسقاطها، وقتل الانتماء عند أبنائها، لكن هيهات، ففيها رجال أعرفهم وعندهم صدامية ووطنية صادقة، بل إنهم "نماريد" على العدو. ومع الروح الجديدة التي عززها التدين، خرج أبنائها على الاحتلال، ومنهم من انخرط في أعمال الانتفاضة، ودخلوا السجن، وحوكموا، ومنهم من أتى إلى سجن عسقلان أيام وجودي هناك سنة 1989، وتعرفت عليهم والتزموا حماس، وآثروها عما سواها من التنظيمات فرحبنا بهم. وكان اهتمامنا بهم عظيماً، وكانت ظروفهم صعبة مع الالتزام، لكنها الأخوة، فهي إطار يتسع لأحبابنا هؤلاء، ولأن تربيتهم في الداخل لها في "النمرية" نصيب، وهذا جيد. ولما عرفتهم عن قرب، قلت: هؤلاء نخرٌ ورصيد لنا في الداخل، وكان ذلك. فبعدما تعرفت على الحاج عادل السكسك، زودني بالخيرة من شباب يافا خارج السجن، وعرفني على زوج أخته (أبي محمد) الشهيد علي ريجان، والذي كان قد قتل قبل سنتين، بإيعاز من المخابرات الإسرائيلية على يد العملاء. ولما قُتِلَ جاء رجل مخابرات إسرائيلي ووضع قدمه على رأس الشهيد علي، وقال له: هل نسيت أنك حماس؟ وعرفني الحاج عادل كذلك على إمام مسجد المحمودية الشيخ

يوسف سيد عاشور وعلى أخيه خميس، وقُتل الأخوان في موقف واحد على يد العملاء وبإيعاز المخابرات الإسرائيلية، تحت حجة تصفية حسابات بين الناس. وعمل كل من الشهيد علي ربحان وخميس عاشور معي، وانتظما وكان لهما الدور المهم، في التسليح والرصد والخبرة في معرفة السلاح، فهذه حياتهم، زداني بالسلاح وأخذنا على عاتقهما النقل والتدريب وكل دعم مع استعداد للتنفيذ رحمهما الله جميعاً، وحفظ الله يافا، فالمؤامرة عليها ليست كبيرة فقط، وإنما أحاطوا بها...

كنت أتردد على يافا، لأنني أحبها، والاحتلال لا يريد ليافا أن تحيا بشبانها، كنت أتخذ من الليل ستاراً وغطاء لأي حركة إليها، أو فيها.

وفي قسم (12) من عسقلان جمعنا غرفة أخرى مع الأستاذ حسن القيق (أبي سليمان) مرة أخرى. والحديث لا ينقطع ولا يمل مع أبي سليمان، وكان في الليل في حرب مع البق، إذ كانت لديه حساسية من لسعته، وقد ترك بصماته على جسم الأستاذ، فيقوم في الليل ويطارده بنار القداحة. وجمعنا الأيام في هذا القسم مع الأخ راضي الجراعي (أبو شادي) من حركة فتح، وهو شاب مؤدب ودمت الأخلاق، وهو عضو من أعضاء القيادة الوطنية الموحدة...

وكان في غرفتنا أخ من الجهاد الإسلامي من غزة اسمه صقر البلتاجي، كان يفضل العيش مع إخوانه في غرف حماس. وكان البلتاجي رجلاً في الثلاثينيات من عمره، وله مواقف فيها من حسن الخلق والإحساس بالآخرين، حيث كان يقوم كل ليلة، قبل الفجر بساعة أو ساعتين، ليصنع لي كوباً من الحلبة، وكوبين آخرين من الينسون، للمهندسين حسن القيق وخالد أبو عرفة.

لنا داخل السجن في الأقسام الداخلية إخوة قدامى وأعضاء علينا، وهؤلاء قدموا اسمي للنقل والعيش معهم ما تبقى من الأيام، فكان ذلك وتمّ النقل. وحضرت إلى قسم (2) ونزلت ضيفاً على غرفة 6، وكان هناك الإخوة جميل حمامي (أبو حمزة)، والدكتور إبراهيم المقادمة (أبو أحمد)، والدكتور محمد شهاب (أبو العبد)، والداعية عبد الرحمن تمران (أبو ماهر)، وولده ماهر، والأخ سامي أبو زهري، وآخرون، فرج الله عن المسلمين جميعاً.

لم يطل بي المقام بينهم، ولربما لأقل من شهر، وبعدها رحلت إلى سجن شطة، في الشمال على طريق العفولة بيسان. ولما وصلنا نزلنا على إخواننا في الجماعة الإسلامية،

وهي تجمع بين حماس والجهاد الإسلامي، ولشكلات حصلت بيننا وبين فتح أخرجتنا الإدارة للزنازين، وكان الأخ (أبو مجاهد) أحمد عطون هناك، وناله من الضرب ما تقشعر له الأبدان، حتى قلت إنه قد فارق الحياة، حفظ الله أبا مجاهد.

ومن زنازين شطة خرجت إلى البيت، وتركت خلفي المهندس خالد أبو عرفة (أبو محمد)، وكان عوناً لأبي مجاهد.

تمّ الإفراج عني في 1990/3/1، وكان في استقبالني على بوابة السجن السيدة الوالدة، رحمها الله، وأهالي المعتقلين الذين جاؤوا لزيارتهم، وعدت إلى القدس بعد غياب موجه آخر.

### رحلة الاعتقالات وقسم العزل:

كنا في سجن نيتسان سنة 1989 والأخبار لا تتوقف، وفيها حرارة لسخونة الأحداث، وقد جاء في الأخبار العبرية عن اختطاف جنديين إسرائيليين. والخاطفون قالوا، من باب التمويه، إن هذه العملية جاءت رداً على اغتيال (أبي جهاد) خليل الوزير، واتضح فيما بعد أن من قام بهذه العملية مجموعة تابعة لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وتمكنت هذه المجموعة من القضاء على الجنديين، ودفنهما ومصادرة سلاحيهما، ثم الاختفاء عن الأنظار. وقد حُددت هوياتهم، وهم (أبو النمر) محمد الشراطة، قائد المجموعة، ومن ورائه الشيخ صلاح شحادة (أبو مصطفى)، والشهيد محمود المبحوح، والأخ المجاهد محمد نصار، رضي الله عنهم جميعاً. أما أبو النمر والشيخ صلاح فقد اعتقلا، وأما الشهيد محمود المبحوح والأخ محمد نصار فقد غادرا القطاع إلى مصر...

وعلى إثر ذلك قامت قوات الاحتلال بأكبر عملية اعتقال، شملت غزة والضفة الغربية والقدس، حتى وصل عدد المعتقلين إلى ما يزيد على 250 معتقلاً كلهم من حماس، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين والمهندس إسماعيل أبو شنب، وشبان يشكلون الصف الأول من قيادة الحركة، ومن القدس الأستاذ حسن القيق والشيخ جميل حمامي، والأستاذ غسان هرماس، والأستاذ علي أبو راس مدير المعهد العربي، والدكتور عدنان مسودة، والأستاذ ماهر عبيد من الخليل، والشيخ جمال الطويل، والشيخ حسن يوسف، والشيخ إبراهيم أبو سالم من رام الله، وآخرون لا أذكرهم... الله يعلمهم.

وقد سبق هذا الاعتقال اعتقال آخر لإخوة أسسوا جهاز أمن الحركة (مجد) ، وكان على رأس هذا الجهاز القائد الملمم الأخ يحيى السنوار (أبو إبراهيم)<sup>27</sup>، ومعه في قيادة الجهاز الإخوة روجي مشتتهى (أبو جمال)<sup>28</sup>، وتوفيق أبو نعيم (أبو عبد الله)<sup>29</sup>، وحسن المقادمة (أبو علي)<sup>30</sup>، وهم من الكفاءة بمكان داخل السجون وخارجها.

على أثر هذه الاعتقالات تفنن العدو الصهيوني ومؤسساته الأمنية في الإجراء، وأقدمت مصلحة السجون على إجراء همجي ضد هذه الشريحة من المعتقلين، وفي قسم تحت الأرض كانت مصلحة السجون تستخدمه ممراً للبوسطات وللتنقلات، وللمحاكم، ويسمى "معبراً"<sup>31</sup> بلغتهم. وهذا القسم بلغ من السوء مبلغاً لا يطاق، فهو مزرعة للفئران والجرذان، والرطوبة فيه قاتلة، وحشرنا فيه حشراً كل اثنين في حجرة كالزنازين، بل ربما كانت الزنازين أرحم، والبعوض والحشرات والإنارة الضعيفة التي تضعف الرؤية، وتؤدي إلى العمى مع الزمن، أما الجدران والأبواب، فلها دهان خاص ومتعب للنظر، يتفننون في الإجراء وقد كنت نزيلاً فيه، يوم أن اتخذ مدير مصلحة

<sup>27</sup> يحيى إبراهيم السنوار (1962-): ولد في مخيم خان يونس لعائلة هجرت من بلدة المجدل سنة 1948. التحق في الجامعة الإسلامية بغزة ونشط في صفوف الكتلة الإسلامية وقاد مجلس طلبتها. أحد مؤسسي منظمة الجهاد والدعوة (مجد)، الجهاز الأمني لحركة حماس، وقائدها في جنوب قطاع غزة، بتكليف من الشيخ أحمد ياسين؛ كان للجهاز دور في ملاحقة الصهاينة وعملائهم. اعتقل في 14/5/1989، وحكم عليه بالسجن المؤبد. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 18/10/2011. وانتخب مؤخراً ليشغل عضوية المكتب السياسي لحركة حماس.

<sup>28</sup> روجي جمال مشتتهى (1959-): مواليد حي الشجاعية في مدينة غزة، متزوج، وأحد مؤسسي منظمة الجهاد والدعوة (مجد)، الذراع الأمني لحركة حماس، ومسؤول الجهاز في منطقة غزة. اعتقل من المستشفى بعد إصابته بانفجار قنبلة خطأ يوم 13/2/1988، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة لمسؤوليته عن مقتل عدد من عملاء الاحتلال. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 18/10/2011، وانتخب مؤخراً ليشغل عضوية المكتب السياسي لحركة حماس.

<sup>29</sup> توفيق عبد الله أبو نعيم (1962-): ولد في منطقة وادي غزة، والتحق في كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية في غزة. نشط في صفوف الكتلة الإسلامية وحركة حماس وشارك في فعاليات الانتفاضة الأولى واعتقل لذلك. انتمى لمنظمة الجهاد والدعوة (مجد) الجهاز الأمني الخاص بحركة حماس. اعتقل في 14/5/1989 لمشاركته في عدد من العمليات ضد الصهاينة وعملائه وحكم بالسجن مدى الحياة. أحد قيادات أسرى حماس، وممثل المعتقلين لفترة طويلة. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 18/10/2011.

<sup>30</sup> حسن أحمد المقادمة (1960-): ولد في مخيم جباليا شمال قطاع غزة، شقيق الشهيد إبراهيم المقادمة حصل على بكالوريوس الشريعة الإسلامية من الجامعة الإسلامية بغزة، متزوج وله ولد وبنت. اعتقل في 18/5/1989 لنشاطه ضد العملاء الصهاينة ضمن منظمة الجهاد والدعوة (مجد) جهاز حماس الأمني، وحكم بالسجن لمدة ثلاثين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 18/10/2011، وأبعد إلى تركيا.

<sup>31</sup> المعبار: مكان احتجاز المعتقلين المؤقت، ويكون ملحقاً بكل سجن ولكنه مفصول عن المعتقلين المحتجزين بشكل دائم، ويستخدم لمبيت المعتقلين بين مراحل النقلات المختلفة التي تستغرق أكثر من يوم. انظر: فهد أبو الحاج، مرجع سابق، ص 67. وللمزيد انظر التعريفات الواردة في ملحق "البوسطة". [المحرر]

السجون قراره بشأن العزل، ومن ورائه سياسة عليا للشبابك بصماته واضحة فيها. ونقلت إلى القسم الآخر منه، حتى لا أختلط بهذه المجموعة.

ولم تكف مصلحة السجون بكل هذه المواصفات، بل أتت بستين من كوادر حركة حماس، معظمهم من الناشطين سياسياً لا علاقة لهم بالعمل العسكري، ومنهم كذلك الناشط في العمل العسكري والميداني، ووضعهم تحت سياسة خاضعة للمؤسسة العليا، بعدما دخل الشابك على خط مصلحة السجون، بحيث حُجِّم صلاحية إدارة السجن بحق هذه الفئة. وزادت في الأبواب الموصدة، وأغلقت عليهم نوافذ صغيرة في أبواب القسم تسمى "شناقات"، بعد مصادرة ثيابهم إلا من غيارين اثنين، حتى لا يعرفوا الدفء في برد الشتاء القارس، مع برنامج سيء للتغذية، ومنعهم من الرياضة وصلاة الجمعة، والكانتينا، والكتب والقرطاسية. واتبعوا معهم سياسة الضرب والاعتداءات والاستفزاز، فلا يخلو يوم من ضرب الغاز بقيادة طاقم على رأسه ضابط أمن روسي اسمه سيمون. ودارت الأيام وإذا بسيمون يعين مديراً لسجن نفحة، ففي سنة 2003 جاءنا إلى سجن نفحة مديراً، بعدما ترقى على حساب معاناتنا وآلنا ولبشاعة أفعاله، فالتقى الأخ توفيق أبو نعيم، الذي عاش وإياه صولات وجولات من الصدام. وكان الأخ توفيق الناطق باسم العزل قديماً، والناطق باسم السجن اليوم، وأيام العزل حصل بين الاثنين صدام أدى إلى الضرب، بحيث تركت في رأس سيمون علامة، فرد على توفيق بضربة تركت علامة في رأسه، (واحدة بواحدة). والتقى أخيراً في غرفتي، وكلاهما ينظر إلى رأس الآخر ويبتسم، لكن بعيداً عن تلك الأيام، وهذه حادثة من حوادث كثيرة، كان بطلها غالباً الأخ المجاهد أحمد شكري<sup>32</sup>، الذي قتل صهيونياً في ورشة العمل، وعمل على قتله بدفنه تحت الباطون المسلح.

كانت سياسة ضرب الأسرى بالغاز منذ أن فُتحت أبواب السجون، ولم يسلم منها حتى من كانوا في العزل، بل ربما يضربون هناك يومياً، وطالت عليهم الأيام، وما انتهت إلا بنجاح الإضراب سنة 1992 الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

<sup>32</sup> أحمد حسين شكري (1963-): ولد في رام الله ونشط في حركة المقاومة الإسلامية (حماس). في 1989/9/8 قام باستدراج أحد الجنود الصهاينة إلى مكان منعزل في تل أبيب، فقتله ضرباً وألقاه في بئر. توجه في اليوم التالي إلى محطة الحافلات المركزية في تل أبيب وصعد الحافلة 405 وعلى طريق تل أبيب - القدس استل المجاهد شكري سكيناً وهاجم سائق الحافلة وطعنه عدة طعنات في البطن والذراع ليقتله، ثم حاول دفع الحافلة إلى المنحدر، غير أن الركاب تمكنوا من السيطرة عليه قبل سقوط الحافلة ليعتقل على يد جنود الاحتلال. حكم بالسجن المؤبد، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

وخرج الإخوة من العزل بعد سنتين ونصف، وتفرقوا على السجون إلا نفحة، حيث رفضت قيادة فتح فيه استقبال أيّ أحد من حماس، ما دفع برفيق من الشعبية وهو الأخ رأفت بدران إلى القول: لماذا نحن أضربنا، وعلى رأس مطالبنا إنهاء العزل؟ فتراجعوا عن موقفهم. وهذا موقف يسجل للأخ رأفت بدران، ورأفت هذا تحول من الشعبية إلى فتح فيما بعد، وهو من بيت عور التحتا من قرى غرب رام الله.

أما الإخوة الذين دفعوا ضريبة العزل، فهم المهندس إسماعيل أبو شنب، رحمه الله، وتوفيق أبو نعيم، والشيخ صالح العاروري<sup>33</sup>، والشيخ صلاح شحادة، والأخ عبد الهادي غنيم من فتح، والمجاهد محمد الشراطة، وأبو إبراهيم السنوار، والمحامي محمد فرج الغول، والمجاهد نضال زلوم<sup>34</sup> من الجهاد الإسلامي، وهو من خيرة أحبابي ومن العباد والذاكرين—فرّج الله كربه في صفقة وفاء الأحرار— والمجاهد عامر أبو سرحان<sup>35</sup> مفجر ثورة السكاكين... والمجاهد أسامة المزيني صهر الشيخ أحمد ياسين، وياسر داود من الجهاد الإسلامي، ولا أنكر بقيتهم.

## ها بين الإفراج والاعتقال الإداري:

من سجن إلى سجن تختلف سياسة مصلحة السجون، فسجون الشمال، لكون أكثر السجانين من الدروز، سجون قاسية جداً في المعاملة. وهم—أي الدروز— في كل

<sup>33</sup> صالح العاروري (1966-): ولد في قرية عارورة قضاء رام الله. التحق في كلية الشريعة في جامعة الخليل، وترأس الكتلة الإسلامية في الجامعة. من مؤسسي الجناح العسكري لكتائب القسام في الضفة الغربية. اعتقل أكثر من مرة في سجون الاحتلال الصهيوني بدءاً من سنة 1991، وأحد أبرز قيادات حركة حماس في سجون الاحتلال حتى خروجه. خرج من الاعتقال الإداري مقابل إبعاده خارج فلسطين، مسؤول ملف الأسرى في حركة حماس وعضو الوفد المسؤول عن مفاوضات صفقة وفاء الأحرار مع الاحتلال. انتخب ليشغل عضوية المكتب السياسي لحركة حماس.

<sup>34</sup> نضال عبد الرازق زلوم (1963-): ولد في مدينة البيرة. حاصل على بكالوريوس لغة عربية من جامعة بيرزيت. في ليلة الـ 27 من رمضان، 1989/5/3، هاجم بسكين مجموعة من الصهاينة فقتل اثنين وجرح ثالث. حكم بالسجن المؤبد مرتين و35 عاماً. من قيادات حركة الجهاد الإسلامي في السجون. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

<sup>35</sup> عامر سعود أبو سرحان (1972-): ولد في قرية العبيدية قضاء بيت لحم. إثر مذبحه المسجد الأقصى المبارك نفذ أبو سرحان عملية طعن استهدفت عدداً من المستوطنين والجنود الصهاينة، فقتل ثلاثة منهم وأصاب عدداً آخر، وكان ذلك في 1991/10/12. اعتقل إثر ذلك بعد إصابته بقدميه وحكم بالسجن المؤبد ثلاث مرات. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

سجن يشكلون عصابة خارجة عن السياسة العامة للسجون، وينصرون أخاهم ظالماً أو مظلوماً! فجميعهم يشاركون الضرب، ولهم ألسنة حداد في الشتيمة والسباب، وبألفاظ نابية، ولديهم حقد عجيب، لا أدري ما أسبابه وما هي دوافعه! بل هم علينا أشد وطأة من الصهاينة، وإن الاحتلال يستغلهم، وهم من اعتدى علينا، وانهاled بالضرب على المجاهد أحمد عطون، وستأتي الساعة التي لا ينفع فيها الندم جرأ هذه الخدمة، سواء في الجيش أم في مصلحة السجون، أم في أقبية التحقيق.

وللحقيقة أقول، إن بعض هؤلاء قد طرأ على مواقفهم نوعٌ من التغيير، كثمرة لمناقشتهم في هذا الأمر. ولي صحبة مع بعضهم، وما انقطع الاحترام بيني وبينهم، فالزمن جزء من العلاج، وسياسة الاحتلال العنصرية معهم، غيرت بعضهم إلى الأحسن.

بعد الخروج من سجن شطة بتاريخ 1990/3/1، وقد عازمت ألا أعود للسجن مرة أخرى، وأن أعيش حياة الجبال، وعلى الخصوص في الليل، لا آتي إلى البيت إلا بعد صلاة الصبح، أو مع الصبح، وربما وقت السحر ولمدة ستة أشهر، والوالد بعد أن ينتهي من قيام الليل، يخرج إلى ساحة البيت، ويتأمل من الليل مع هذا الهدوء بين الذكر والاستغفار، وعند عودتي يقول لي: اذهب إلى فراشك وخذ قسطاً من الراحة، وأنا أقوم بواجب الحراسة.

وبعد خروجي من السجن بقليل، كان الأستاذ حسن القيق على أبواب الفرج، وينتظر أيامه الأخيرة في سجن عسقلان. ويوم الإفراج عنه بتاريخ 1990/6/21، ذهبنا وأهل بيته ورجل الإصلاح الحاج موسى الوحيددي (أبو ماجد)، والأخ (أبو إسحق) إبراهيم أبو سالم، ذهبنا جميعاً إلى سجن عسقلان، وانتظرنا أستاذنا حتى خرج، وسلمنا عليه بعد هذا الغياب، وسرنا به إلى دورا الخليل، وهناك استقبلنا أهله وإخوانه وأقاربه، وتناولنا طعام الغداء مع حضرته في بيت والديه، ورجعنا إلى القدس، وبقي الأستاذ في كنف والديه وأهله بقية يومه.

وخلال هذه الأيام وقبلها التقيت ثلة كريمة من أبنائنا، وكانت لهم الباع الطويلة في العمل العسكري، منهم خالد الزير، والقائد الميداني لكتائب عز الدين القسام في جبل الخليل محمد عزيز<sup>36</sup>، وقد استشهد الأخوان رحمهما الله، وهنئاً لهما الشهادة.

وأذكر أنه منذ انطلقت الانتفاضة الأولى في نهاية سنة 1987 وساحات المسجد الأقصى تشهد فترات من المواجهة مع قوات حرس الحدود الإسرائيلي. فقد بلغت الوقاحة والتبجح بالمحتل أن يقتحم ساحات المسجد، وأن يحاصر الناس داخل المسجد ويضربهم بالغاز، وكنت من المرابطين، ومن الذين شارك هؤلاء الشبان في التصدي لقوات الاحتلال. وقد ضربونا بالغاز حتى كدنا نختنق داخل المسجد وفي باحاته لكثرة ما تعرض المسجد لضرب الغاز.

وفي هذه الفترة، غزا صدام حسين دولة الكويت واستباحها، وخطبت الجمعة من على منبر مسجد صور باهر، وألقيت باللائمة على صدام، ومن الناس من قام ضدي فقلت لهم: صدام طاغية، وقال عن القرآن إنه لا يصلح لهذا الزمان، وخرب على الأمة كثيراً بهذا الغزو. وبعد هذه الخطبة بليتين اعتقلت إدارياً ستة أشهر...

### الاعتقال الإداري:

لم يمض على خروجي من السجن والإفراج عني سوى ستة أشهر، وإذا بي أعود أدراجي إلى السجن للمرة الثالثة. وقد حرصت ألا أسجن، ولكن هيهات أن تحتاط إذا وقع القدر. ففي الأسبوع الأخير قبل الاعتقال، كان لأخي الأصغر عرس وحفل زفاف، ومن التعب تلك الليلة استلقيت لأنال قسطاً من الراحة، بعيداً عن غرفة النوم، لكن في محيط البيت، وفي حضني ولدي مصعب قبل أن أعود فأنتقل، لكن غلبني النوم، وما

<sup>36</sup> محمد عزيز رشدي (1969-1993): ولد في مخيم العروب قرب الخليل لعائلة هجرت من قرية الفالوجة سنة 1948. أكمل تعليمه في معهد المعلمين في رام الله، وكان رئيساً لمجلس الطلبة وأمير الكتلة الإسلامية. نشط في صفوف حماس بعد اشتعال الانتفاضة الأولى، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني. قاد كتائب القسام في منطقة الخليل وشارك في عدد من عملياتها وأشرف وخطط لعدد آخر. استشهد في اشتباك مسلح يوم توقيع اتفاق أوسلو Oslo في وادي سعير قرب الخليل؛ يوم 1993/9/13 وبينما كان يوقع اتفاق أوسلو، كان الشهيد يعلن بدمه استمرار الثورة حتى تحرير فلسطين، حيث استشهد في أثناء اشتباك مسلح مع قوة صهيونية حاصرته وإخوانه المجاهد محمد طقاطقة، والشهيد خالد الزير، والشهيد عبد الرحمن حمدان، والشهيد إبراهيم سلامة في وادي سعير بعد انسحابهم من موقع عملية ضد الاحتلال. وأثر الشهيد القتال حتى يغطي على انسحاب إخوانه، إلى أن استشهد بعد أن أصابه صاروخ في رأسه مباشرة.

صوت إلا على رنين الجرس وقرع الباب، ورجل المخابرات ينادي أن أفتح الباب. وأخذت بالصبي إلى غرفته، وفتحت الباب وفتشوا البيت، وبأمر اعتقال قيديوني وساروا بي إلى المسكوبية، لأمكث عدة أيام، أبلغ بعدها بأمر اعتقال إداري من وزير دفاع دولة الاحتلال، وكان يومذاك موشيه أرنس Moshe Arens، وترافع عني أمام المحكمة الأستاذ عبد المالك دهامشة. وقدمت النيابة ملفاً سرياً للقاضي، ادعت فيه أن لي علاقة بالإخوة محمد نصار ومحمود المبوح وأبو النمر الشراطة، الذين قاموا باختطاف الجنديين الإسرائيليين إيلان سعدون وآفي ساسبورتس.

صدر قرار القاضي بحكم إداري احترازي ستة أشهر، وبعدها تمّ ترحيلي إلى سجن نيتسان، حيث استقبلني شبان من القدس والداخل الفلسطيني، منهم الأستاذ محمد صوان الأمين العام لاتحاد المعلمين، والأخ فريد أبو مخّ من باقة الغربية، وكلاهما يقضيان حكماً إدارياً.

عشت والأخ (أبا عزام) فريد أبو مخّ في حجرة واحدة بسريرين، ولا تتسع لغيرنا. وإن كان للسجن أحزانه ولا نتمناه لأحد، إلا أن لقائي الأخ أبا عزام والإخوة كذلك أدخل عليهم السرور، لأن في اللقاء تتجدد الحياة. ولم يسبق أن التقينا إلا لقاءً عابراً، فكان اللقاء حاراً، وتحدثنا عن ذكريات الماضي وعن مستقبل هذا الصراع، مع متابعة لأخبار الساعة من خلال المذياع والتلفزيون الأبيض والأسود.

أنهى الأخ فريد أبو مخّ سنة أو يزيد من اعتقاله الإداري، في قضية ملف سري حسب ادعاءات المخابرات يتعلق بحياسة سلاح، ثم أفرج عنه، وقمنا، وقام المعتقلون في قسمنا بوداعه، وبقي أربعة من الإداريين، ثلاثة في الحجرة المجاورة التي لا تتسع لأكثر من اثنين، ووجود ثالث يمنع التجول. وانتقل عندي الأخ حاتم عبد القادر، عضو المجلس الثوري لحركة فتح، وبقي في الحجرة المجاورة الأخوين سري نسيبة، الرئيس الحالي لجامعة القدس، وكمال الشويكي، نقضي وقتنا في النقاشات وأحاديث السياسة، ومطالعة الكتب، وأنهى الجميع فترته الإدارية ثلاثة أشهر لكل واحد، إلا أنا فسته أشهر أمضيتهما وخرجت.

وفي ليلة من الليالي ونحن نيام، وإذا بجرذون كبير بحجم القط، يزحف في طريقه من أسفل القدمين حتى توسطني فنفضت الغطاء، لكنه رجع ثانية حتى وصل قريباً من رأسي. فقمتم من النوم وقام الأخ حاتم، وأغلقنا عليه مصرف الدورة بقارورة حتى لا

يهرب من الموت، وضيقتنا عليه حتى قتله الأخ حاتم بعضا المنكسة. وطريقه كانت إلينا عبر التسلق من الطابق الأرضي إلى الطابق الثالث عبر المجاري.

وكان معنا في السجن شبان من القيادة العامة، ومن حزب الله اللبناني، وجمعتنا "الساحة" في أحاديث عن المقاومة، وعن الساحة اللبنانية بعد الحرب الأهلية واحتلال الصهاينة للجنوب.

### هجزة رهيبة وحرب الخليج:

وذات صباح، وإذا بأخبار غير سارة ومجزرة رهيبة حصلت داخل المسجد الأقصى، وذهب ضحيتها عشرون شهيداً من القدس، ومن الداخل الفلسطيني والقرى المحيطة، ومنهم الشهيد أيمن الشامي، والشهيد علاء عاشور، الذي سيطر على سلاح الجندي الإسرائيلي عند باب المغاربة، ولم يفلح في استعماله، فمزقوه بالرصاص، وتناثر رأسه، رحمهم الله جميعاً، وحمله الأخ زكريا نجيب بين يديه وهو مخرج بدمائه.

هذا هو إجرام الاحتلال، حتى في دور العبادة تسيل بالدم أبطح، فجاء الرد مدوياً على يد المجاهد عامر أبو سرحان، الذي فجر ثورة الغضب بالسكاكين، فقتل بسكينه ثلاثة من الصهاينة، ثم حاصروه واعتقلوه وأذوه حتى أرهقوه، ثم تعافى بعدها، وبعدما أمضى عشرين سنة من عمره خرج في صفقة وفاء الأحرار.

وليس بمعزل عما يجري في الخارج، فحرب الخليج كانت حاضرة، والغزو الأمريكي لدول الخليج بحجة طرد صدام من الكويت ألقى بظلاله وجثم على صدر المنطقة. وبدعم من دول التحالف، أخذ هذا الغزو شرعيته من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ودخلت هذه القوات أرض الكويت، بعد أن حررتها من صدام، وطاب لها العيش في المنطقة، وفي دول الخليج حتى يومنا هذا. وانكفأ صدام أمام هذا الغزو، وتحررت الكويت بعد أن عاث بها صدام حسين فساداً، ونهبها وقتل أبناءها واستباحها، ولولا هذه الحرب ما وصلت صواريخه إلى أرض فلسطين، وقد كانت انفجاراتها تدوي على مقربة منا، وعادت المنطقة فريسة للاحتلال.

## الخروج من السجن:

ومضت الأشهر الستة، وكانت ثقيلة الظل، وخرجت من السجن بتاريخ 1991/3/1، وانتهى احتلال صدام، وانتهت حرب الخليج بدمار الكويت وهلاك الشعب العراقي، الذي جلب له صدام الحصار والدمار، فما نزل حزب البعث في أرض إلا أهلك الحرث والنسل.

خرجت من السجن واستقبلني الأهل وذوو القربى والأحباب، وهذه مناسبة لا تفوت أحداً من المهنيين، فالشيخ رائد صلاح<sup>37</sup> رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني، وبصحبه الأخ فيصل الحسيني، رحمه الله، والدكتور أحمد الطيبي كانوا من المهنيين، ومن المتفاعلين في الحديث عما يجري حولنا، وعما تتعرض له المنطقة. وكنت خلال اعتقال الثاني تعرفت على شاب بدوي من راهط، اسمه سالم أبو جابر، وطوال السجن أقمنا علاقات جيدة، ولم يظهر عليه ما يريب... ولا أريد أن أظلم الرجل، وربما كان ضحية لشبكة من ورائها الشاباك الإسرائيلي، لكن تبادلنا الزيارات وفتحت معه باب العمل الجهادي وآلية التسليح بعد سنة من خروجنا من السجن، وأنا أعترف بأنني أخطأت في أن أحسن الظن بهذا الرجل، ما ورطني فيما بعد بقضية كنت في غنى عنها، ودفعت ست سنوات أخرى من عمري في السجن، وإخوة آخرين معي قضاوا من أعمارهم في السجون سنتين وثلاث سنوات، وسأتحدث عن ذلك في موقعه.

كانت لي شبكة علاقات تنظيمية داخل فلسطين المحتلة، كما ذكرت في يافا وفي النقب وأم الفحم والناصرة وشفا عمرو. وهذا النسيج أقلق الاحتلال، ولهم عيون كثيرة في كل حارة من هذه المدن وقراها، وتعرضت لمضايقات مؤلمة ومؤذية أيام أن كنت في التحقيق، واستدعي كثير ممن كانوا في هذه القرى والمدن، للتحقيق معهم عن العلاقة التي تربطني بهم، وكلها كانت في السليم والحمد لله. وكثيراً ما كنت أسأل عن الشيخ رائد صلاح وعن آلية غسيل الأموال، ونقلها من الخارج إلى الداخل، وعن علاقته بحماس.

<sup>37</sup> رائد صلاح سليمان (1958-): ولد في أم الفحم إحدى المدن الفلسطينية التي احتلت سنة 1948، وحصل على بكالوريوس شريعة إسلامية من جامعة الخليل. شاعر، أسهم في تأسيس الحركة الإسلامية داخل فلسطين المحتلة سنة 1948، وشغل رئاسة تحرير مجلة الصراط لسان حال الحركة الإسلامية، وأسهم في تأسيس عدد من الجمعيات الخيرية. نجح في رئاسة بلدية أم الفحم لثلاث دورات متتابة، واستقال من رئاسة البلدية ليتفرغ لقيادة الحركة الإسلامية داخل فلسطين 1948 الجناح الشمالي، ولمتابعة قضية المسجد الأقصى. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني لدفاعه عن المسجد الأقصى، ولقب بـ "شيخ الأقصى".

# Sidi 'Umar: The Memoirs of Muhammad Abu Tair About Resistance and His 33 Years in the Israeli Jails

## هذا الكتاب

يسجل هذا الكتاب ذكريات مسيرة طويلة لشيخ مجاهد، وشخصية إسلامية وطنية، برزت في سبعينيات القرن الماضي كأحد رموز المقاومة من أبناء حركة فتح. ثم أصبحت أحد أبرز مؤسسي الجماعة الإسلامية وحركة حماس في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

في هذا الكتاب، يشرح الشيخ محمد أبو طير تجربة 33 عاماً في سجون الاحتلال، ومواقفه ومواقف الحركة الأسيرة من القضايا الوطنية وهموم الأمة المختلفة. ويسجل جزءاً مهماً من تاريخ الأسرى في سجون الاحتلال، وخصوصاً أسرى حماس، وما رافق ذلك من معاناة في السجون ومواجهات مع السجناء. كما يتعرض لعلاقات أسرى حماس بالأسرى من باقي الفصائل الفلسطينية، وما رافق ذلك من حالات تعاون أو شدّ واحتكاك.

وتبرز في هذه الذكريات جوانب من تجارب العمل العسكري المقاوم الذي خاضه أبو طير من خلال فتح، ثم على مدى زمني أوسع من خلال حماس. بالإضافة إلى تجربته في العمل السياسي، وانتخابات المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية.

ويسر مركز الزيتونة طباعة هذا الكتاب الذي يخط شهادة وحكاية الشيخ أبي طير، شيخ بيت المقدس، الذي عُرف بين إخوانه بـ"سيدي عمر"؛ ليكون أحد أهم ما صدر من كتب في تجربة الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

ISBN 978-9953-500-62-1



9 789953 500621



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | فاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

